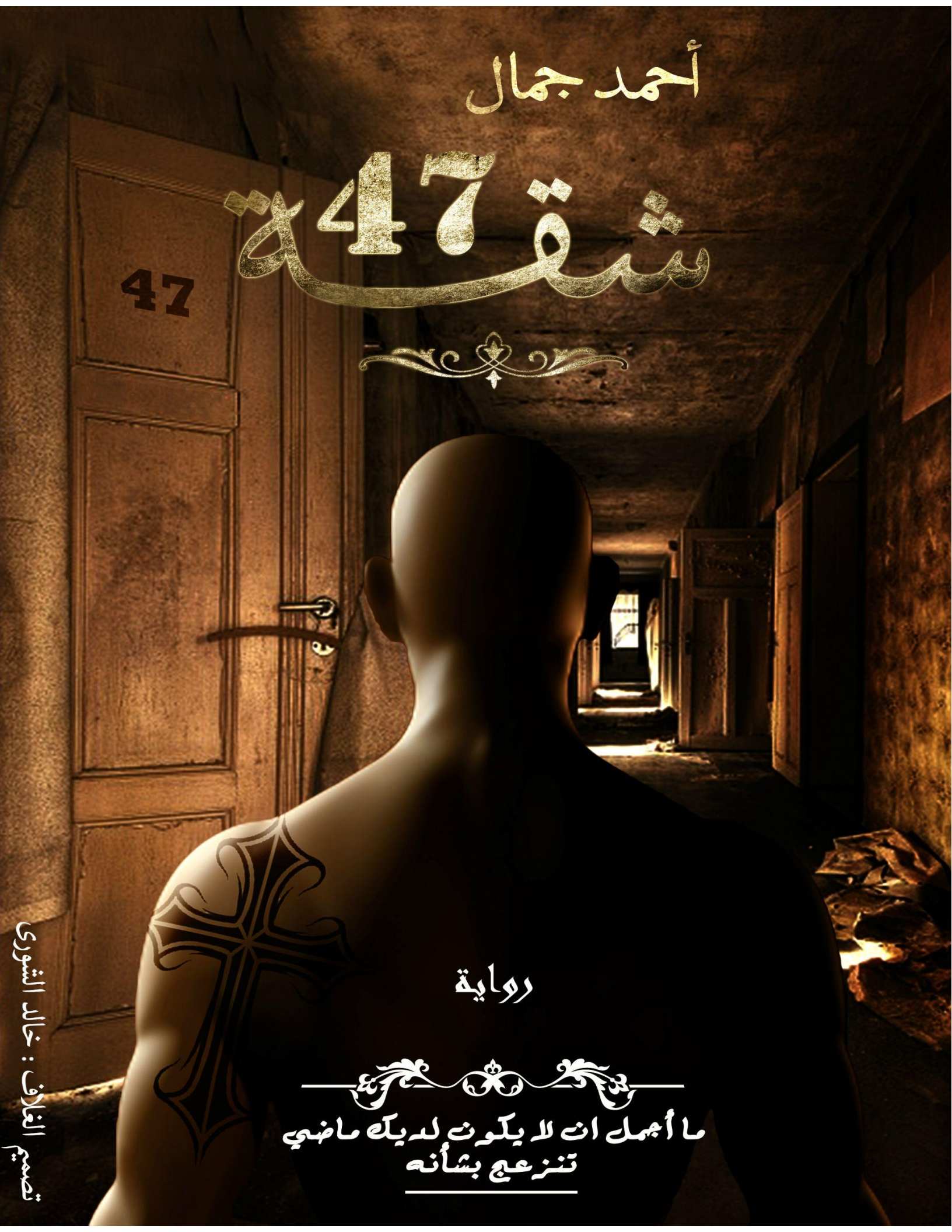
أحمد جمال
شقة 47
47
رواية
ما أجمل ان لا يكون لديك ماضي
تتزعج بشأنه
تصميم الغلاف : خالد الشورى

شقة ٤٧

لـ

أحمد جمال

جميع الحقوق محفوظة © عصير الكتب للنشر الإلكتروني

http://book-juice.com

شقة ٤٧

المؤلف : أحمد جمال

نشر في : مايو ٢٠١٥

الفصل الاول :

"إن ثقتك في نفسك هي انعكاس ثقتك بالله"

يستيقظ أحمد سيف الدين ،و تكاد أن تتطاير من عقله بعض الخلايا ،لما ألمَ به من صداعٍ فتاكٍ،كاد أنيخترق رأسه .يتذكر نداء الطبيعة في استجابة منه لالحاح عقله عليه لإحضارأوكسجينة الحشيش .يخرج موبايله و يتصل :".الو.

أيوا مين معايا.

اصحي يا معلمانا أحمد.

أحمد مين.

أحمد سيف الدين ياعم.

ايه يا أبو حميد دا وقت حديتصل فيه بس.

أعملك ايه ياعم نادر مانت الي بقالك يومين قافل موبايلك و مطنشني و انا علي أخري و مستني حضرة الوزير لما يفتح تيليفونه عشان يرد عليا.

معلش يا كابو أصل أنا أوفردوز و مش شايف أصادي أصلًا.

اللي اداك يدينا ياعم نادر المهم فوق و اشرب قهوتك،أنا عارف إنك مالكش في النيسكافيه العيالي دا .خلص ،و ظبط نفسك، و كلمني ضروري عشان عايزك، محتاج staff ضروري، دماغي علي أخرها و محتاج أفصل.

أوك يا كابو هخلص كام مشوار وهديك ألو علي بليل تمام يا صاحبي.

تمام يا نادر.

عايز حاجة.

لا.

سلام.

سلام.

ينهي أحمد مكالمته مع الديلر الخاص به وصديقه نادر يجلس علي طرف سريره و هو يتأمل الفراغ بنصف عين، بعد قيامه من النوم الساعة الخامسةعصرًا بعد نومه لسويعات تعد علي أصابع اليد . يجلس و يفرك عينيه و يتوجه إلي المطبخ بعد أن سمع صوت أمه و هي تنادي عليه . أحمد صحيت.

اه ياماما عايزة حاجه مني.

لا يابابا أنا كنت بطمن عليك بس عايز تشرب حاجة ولا أجيبلك تاكل.

شكرا يا ماما هاتيلي النسكافيه بتاعي في البلكونة.

حاضر يا روحي.إلا قولي صحيح إنت كنت بتكلم مين.

دا نادر صاحبي يا ماما.

اه نادر ماشي.

تتنهد أمه بصوت مسموع لكي تبدي تزمرها علي صديقة نادر.

ايه يا ماما مدايقةليه بس .يا حمادة يا حبيبي أنا مش بحب الولد دا دايما بيكون مش مظبوط و خايفة ليكون بيديك حاجة وحشة.

ماتقلقيش يا ماما ابنك مش صغير أنا عندي عشرين سنه دلوقتي.

برضة لو بقي عندك 40 مش هبطل قلق عليك.

شكرًا يا أمي.

يقبل رأسها و يتجه إلي البلكونة نصف عاري و في يده علبه سجائر .L & Mيدخل البلكونة،و يسحب سيجارته .لم تكن سيجارةعادية بل كانت سيجارة "حشيش ."يقف أحمد مولي ظهرهلما تبقي من الشقة، و يشعلها ليسافر مع أليس إلي بلاد العجائب،دائمًا ما يفاجئه نادر با Staff العالي، لا يتمالك نفسه، فهو يعشق هذة النبتة) :الحشيش (مخدر روحاني، يجعلك تري و تسمع ماتريد وقتما تريد، في أي مكان تريد :تذهب للتزحلق علي جبال الألب الفرنسية،أو تذهب لتصطاد من غابات أفريقيا الوسطي، تمارس رياضة القفز من الشلال بالبرازيلو، تحتسي كأس فودكا روسية من امرأةٍ ذات شعر أحمر بولندية، يجرجرك علي حرير ناعم في طريقك، لتتعبد في جبال التبت الصينية، حتي أنه يمكنه أن يجعلك تلعب مع ميسي أو رونالدو في مبارةٍ واحدة .يقف أحمد نصف عاري في مواجه نسائم الهواء العليلة، لا يعلم ماذا أتي به الي هذه الدنيا، ولا يعلم ماهو هدفه من الحياة سوي أن يشرب الحشيش و غيره من مذهبات العقل وصولًا إلي الخمر و ماتشتهيه الأنفس . يجلس أحمد و كأنه سلطان عثماني، في يده ملكوت الأراضي الوسطي، يصدر فرمانات، و تحت يده الجواري التي لا حصر لها، حتي يراها من خلف الستائر البنية المكسوة بالحمار، هي تخرج ببطئ غريب، و كأن الزمن يتوقف عند خروجها إلي شرفة بيتها .من هي؟ لا يعلم لها من اسم،أو من أي شئ سوي أنها ملاكه الحارس .يرتسم علي وجهه ابتسامة تكاد تلامس أذنيه، يتخيلها مرة قديسة عصية عليه، و يتخيلها مرة أخري راقصة تعري، ترقص لمن يدفع أكثر و لكن !في كلا الحالتين هي ليست له .تخرج وهي تقف ليست مبالية بمن يقف في مواجهتها .لم تلاحظه !و إن لاحظته تهرول سريعًاإلي الداخل و يهرب معها قلبه .خرجت هذة المرة غير مبالية، تنظر إلي أضواء

الشارع البراقة التي تجذب العيون كسيرك اسكندنافي في أوج لحظاته .تلقي نظرَة جامدةً باردًة علي شرفةأحمد، الشاب ال"مضيع "الذي لا يعرف أحد عنه شئ، و لو حتي كليته، فهو غير مبالي بالحياة، ولا يعتبر نفسهمن أهل الأرض، فهو راهب ناسك في غرفته، لا يخرج منها إلا لمقابلة بعض الأصدقاء للجلوس عليالقهوة،أو الذهاب الي البلايستيشن .نظرت إليه، و تملئها أسئلة لو وزعت علي أهل الأرض لما فرغوا من إجابتها مئات السنين.ألقت نظرتها المعتادة، و دخلت .ظل أحمد يرمقها من خلف عينين لا يعترف بوجودهما إلا وقت الضرورة، فهو يعتبرهما نافذتين يُغلقا وقت الضرورة، و أحيانًا لا نستخدمهما إلا لزيادة معاقبة النفس، و النظر إلي أشياء لن تأتي لنا يوما ما .أنهي أحمد سيجارته العتيقة، و دخلت أمهبكوب النيسكافيه إلي الشرفةقائلة :

أحمد عشان خاطري نبطل شوية سجاير عشان صحتنا يا حبيبي وبلاش علي غيار ريق كدا.

حاضر يا ماما بس بجد إنتي خايفة علي صحتي ولا خايفة من بابا لما يعرف إني بشرب سجاير يحرمني من المصروف.

أحمد بابا بيحبك ماتظلموش ياريت، حاول تكلمه لما يرجع، هو راجع كمان أسبوع عشان يعرف إنت عملت ايه ف الثانوية العامة.

يجي بالسلامه يا ماما.

يارب يا حبيبي مش عايز حاجة مني بقي،أنا هروح عند تيتة عشان هي تعبانة شوية هقعد معاها حبة.و لو جعت التلاجةمليانةأكل ماشي يا حبيبي.

ماشي يا ماما سلمي لي ع تيتة جامد.

يوصل يا حبيبي.

تخرج الأممن البلكونةمتجهةٍإلي باب الشقةمغادرةٍإياها .و رجع أحمد متجهًاإلي الحمام، في محاولة لعقد هدنة مع مسالكه البولية للتخلص من سمومه و ينجح فيإخراجها .يقف أحمد أمام مرآة الحمام، يتفحص التاتو علي ذراعه الأيسر، و الصليب الذي نقشه عليه، لما يجد فيه من تحفة و قطعه فنية ليس لها مثيل و ينظر الي باقي جسده .فأحمد شاب متوسط الطول لا يتعدي 170سم، موشومٌ بعده أوشام:أبرزها صليب علي ذراعهالأيسر، و جملة علي صدره كتبت بدقة و حرفة) عندما أسير في وادي ظلام الموت وحدي لن أخاف فهو بجانبي (و يري آية الكرسي علي ذراعه الأيمن كاملة، كل حرف بها تظن أنه خلق لهذا المكان علي جلد أحمد .لديه ندبةٌ خفيفةٌعلي حاجبه الأيسر نتيجةً لعراكٍ قد دار بينه و بين ابن ناظر مدرسة الثانوية نظرًا لتعديه عليهبالألفاظالنابية، مما أدي بأحمد إلي أن يحطم صف أسنانه العليا و خرجأحمد بهذهالندبة .كان أحمد من المحبوبينفي مدرسته الثانوي، و كان له من الأصدقاء مالا يعد ولا يحصي .و لكنأحمد كان له عالمه الخاص :عالملا يجرؤ أحدٌ علي اقتحامه إلا القريب فقط منه، فله عدةأصدقاءٍلايبوح لأحد غيرهم بسره، يجتمعون دائمًافي بيت أحمد لتناول كل ما لذ و طاب من أنواع المخدرات . أنجز أحمد ماكان يفعله، و خرج للصالةمشغلًا اللاب توب الخاص به ،و تشغيل قائمة الأغاني الخاصة به heavy death metal ،و يقوم بزيادة مؤشرالصوتإلي درجة وصوله إلي من في الطابق الأعلي من عمارته المكونة من 10 أدوار .يجلس أحمد و ينتظر، ثم يأخذ اللاب الخاص به إليغرفته حيث هي قبره الاختياري .غرفة لا يطأها إنس ولا جان،محرمة حرمة الدماء، لا تشعر و أنت بها سوي بالموت القريب،مظلمة ظلمه البحر الهائج في شهر يناير،هائجة بكل تفاصيلها، لا يدخلها إلا هو، تكاد الكائنات الحية بداخلها أن تختنق من دخان سجائره، و إن لم تختنق من الدخان تختنق من الظلام .يدخل أحمد، و يجلس في مواجهة شرفة غرفته،معليًا صوت اللاب علي

أغنيةلإحدي فرق الميتال . woods of ypres يغلق أحمد عينيه لبرهات، و ينتظر و ينتظر و ينتظر حتي تصدح الفرقة بكلماتها Death Is Not An Exit ،و تسحبه الكلمات و اللحن إلي عالمه الخاص؛ عالم أحمد سيف الدين .تصدح الفرقة بالكلمات و الصوت حتي يصلإلي عنان السماء، تسمع به ملائكةالسماء السبع، تشتبك مع الأرواح الذاهبة إلي ربها، تتسابق معهم و كأنها في مارثون أوليمبي، تنعق و تنعق و تنعق حتي تنتهي الأغنية، و تعود مرةً أخري بفرقةٍأخري تتسابق مع سابقتها في الوصول بأحمد إلي الجنون :جنونٌ عذب يعشقه أحمد بكل تفاصيله، يشعل آخر ماتبقي له من سجائره" الملفوفة."يذهب في رحلة لا يعلم نهايتها، و لكنه يعلم أنها سوف تشارف علي الانتهاء عند انتهائه من السيجارة .يتخيل أحمد نفسه في صحراء جرداء، سائرٌ بلا هدف، يبحث عن مايتعلق به حتي يكون إنسان من لحم و دم .يعزف بقيثارة الحزن ترانيم السلام الأبدي، ترانيم الموت الذي بعده تبتدي الحياة، لا يكترث بماءٍأو طعامٍ فقط .يسعي للبحث عن هدفٍ يجعل منه إنسان .يأتي الغراب صديقه الوهمي ليقف علي كتفه، و يزعق بصوته ليصبح رفيق أحمد الوحيد في هذه الرحلة .يكمل أحمد سيره في هذه الصحراء مرددًا الشعر" :أيتها الملائكة اذهبي إلي حواف الجنة و انتحري ليحل محلك زبانية الجحيم.أليس لهم الحق في يومٍأن يكونوا مكانكم؟ اذبحواآخرعذراء علي وجه الأرض، فكلهن عاهراتٌ انبتوا ثمار الزقوم لليهود، حتي لا يكون لهم الحجة .أيتها الملائكة استريحي ليحل محلك الزبانية ."يصمت أحمد الذي عاد إلي الواقع،إلي غرفته،إلي عالمه الخاص .يتنحنح أحمد و يعتدل في نومته حيث غلبه النوم في رحلته الوهمية،أخرج نوتته التي كان يدون بها أهم أفكاره، فهو كان معنونًا لهذه النوتة بـ" ترانيم زبانية الجحيم"، و في وسط السطر فيصفحةٍ صفراءٍ جديدةٍ كتب أحمد" أنا ملاك .نزلت إلي هذه الدنيا بحثًاعن السعادة حتي لم أجدها حية، وجدتها فقط مع الموتي،وجدتها فقط في زبانية الجحيم،فأنا

ملاك، بكل خطيئةارتكبتها علي وجه الأرض تحولت إلي شيطان من شياطين الجحيم، حيث فينهاية مطافي وجدت السعادةالمطلقة."أغلق أحمد نوتته و ذهب في سباتٍعميقٍ،لم يوقظه منه سوي تيليفون من صديقه نادر.

ألو.

ميـــن؟ بصوت متهدج لم يخرج من فمه في المرة الاولي.

ألو ميـــــــن انت ياعم.

صباحو يا كابو أنا نادر يا عم و فالح بس تصحيني من النوم و عايزك و فوق و ظبط و كلمني و أكلمك ألاقيك ميت اصحي ياعم معايا خميرة النهاردة عجب هتنسيك مقاس بوكسرك.

الله يحرق صحوبيتك أوك هظبط حالي و أرنلك تنزلي أنا و العيال علي كافيه la dolce vettaاللي بعد كوبري الجامعة عارفه.

اه ياعم عارفه مش دا الكافيه اللي بيقعد عليه الواد مازن الطري و شلة البنات صحابه.

ايوا هو دا !هكلم الباقي و ننزل اشطة.

اشطة.

يلا غور.

يغلق أحمد الخط و يكتب رسالةنصيةإلي والدته يخبرها بخروجه من المنزل و أنه أخذ نقودًا من دولابها، لترد عليه بأن جدته مريضة و ستجلس معها أسبوعًا لترعاها و سوف تحضر له الطعام كل يومين .يري أحمد الرسالة في غير اكتراث، ليرد عليها بردٍمصطنعٍ"ماشي يا ماما خلي بالك من نفسك و منتيتة و سلميلي عليها جامد".

يذهب أحمد ليرتدي ملابسه الواسعة، فهو ليس من هواة الملابس الضيقة، فهو له الـ style الخاص به .يرتدي أحمد ويتصل بصديقيه محمود و حسام .يتصل بحسام أولًا.

ألو يا عم إنت فين.

ايوا يابني أنا ف البيت و مسقط.

طب انزل عشان في استاف النهاردة.

أوك هفوق و أكلمك هتروح فين.

دولسي اللي بعد كوبري الجامعة.

أوك.

سلام.

يغلق الخط ،و يدور الحوار مع محمود بنفس التفاصيل ثم يخرج بعد ذلك .يعيش أحمد في مدينة المنصورة، طالب ثانويةٍعامةٍ، يقضي معظم أوقاته بين البيت و النوم أو كافيهات المنصورة المنتشرة انتشار أطباق الدش علي أسطح بيوت منطقة عشوائية .و لكن أحمد له زوقه الخاص في اختيارها . يستقل أحمد التاكسي، و يدور حوار ممل رتيب بينه و بين السائق في غلاء البنزين و مرسي و السيسي و الكهرباء، ليصم أحمد آذانه، و يكتم السائق بكلمات لاذعة "اسطي لو هتتكلم في السياسة نزلني علي جنب . لا يا بيه علي ايه ملعون أبوها . تسلم ياسطي . معاك دولسي لا فيتا . حاضر يا باشا ".ينزل أحمد من التاكسي غير مهتم بالطريق، يتمشي بحذر، و لا تظهر في قدمه العرجة البسيطة التي لا تري بالعين المجردة جراء حادثة حدثت له أيام طفولته عندما كان في العاشرة من عمره، حيث جعلته الحادثة لازمًا للفراش في الجبس و غيره لمدة عام، و متابعة نفسية

لمدة لا تقل عن عام و نصف ، فقد فيهما ذاكرة الطفولة بسنينها العشرة، ليصبح أحمد أكبر طلاب الثانوية العامة بين أصحابه .يدخل الكافيه و يجلس علي إحدي الطاولات، غير مهتم بالبنات التي حوله كذبابٍ و تجمع علي قطعةحلوي،فلمنلا يعرف دولسي لا فيتا :هو كافيه مفتوح في مكانٍ بعيدٍ عن زحمة المدينة، يتجمع عليه قوم المنصورة من بنات الجامعات و غيرها من الشلل المختلطة .يجلس أحمد و يتصفح كل من حوله في ازدراءٍ، ليخرج سماعات ال head phoneو يضعهما في أذنيه،منفصلًاانفصالًاتامًا عن العالم .ذهب بعقله إلي شرفة منزله في رغبةٍ لتذكرها :ملاكه الحارس الذي جعل من قبله الصدأ كدبابة روسية قديمة تُركت في العراء لتصدأ من وقت الحرب الباردة، كأنه سكينٌصلدٌ في بنقدية أحد الجنود الأمركيين في العراق تجلط عليه الدم فصدأ .قلب لم يعرف للحب مصطلحًا، ولا يعرف سوي مشاعر الكره و البغضاء لما حوله .فهي عندما نقلت إلي حيهم الراقي انقلب حال أحمد رأسًا علي عقب،متبدلةً حياته، فلعنها، و لعن اليوم الذي جاءت فيه إلي الحي الذي يسكن به، فهو كان راضيًا بما فيه حتي وصولها .يفتح أحمد عينيه ليجد صديقه حسام أمامه و معه نادر.

جاء محمود متأخرا كعادته قائلًا"ايه يا رجالة ناموسيتكم كحلي ايه النهاردة الخميس عايزين نظبط الدنيا أنا" خرمان."

نادر":خرمان بذمتك .واحد جايب في الثانوية العامة 97.5% و يقول خرمان إنت جيبت المجموع دا ازي"

أحمد :زي السكر ف الشاي هههههه.

نادر :ملعون الي يكلمك تاني.

محمود شاب في الثانوية العامة يعشق البنات بكل أشكالهنو بكل لغات العالم، يذوب عشقًافيهنو يقضي حاجته إذا كان **single** في بعض الأيام بأفلام البورنو،طيبٌجدًا، و لكنه ذو طبع سريع الوتيرة .يعمل والده مع والد أحمد في الخليج في شركة بترول كبيرة، يدر أبوه عليه المال الوفير.

محمود:أما أنا ياد يا أحمد لقيت بت إنما ايه كرباج من إسكندرية و احتمال أروح لها يومين ها راشق.

أحمد :لا ياعم فاكسأنا الحوار دا شوف الرجالة.

نادر : ولا أنا هاجي معاك اشطه أنا راشق بشفاطة.

محمود :و انت يا حسام.

حسام :سيبني أفكر

حسام شخصيه صامتةإلي أبعد حد ،و هو أقربالأشخاص إلي أحمد في الشلة، توفي والده منذ أكثر من **10** سنوات في رحلة له حيث كان يعمل طيار بإحدي الخطوط العربية، و ترك ورث له لا يحصي ولا يعد .له أختٌ واحدةٌ يخاف عليها،دائم الشكوي لوالدتها منها و من ملابسها، و في معظم الأوقات لا يري أمامه من المخدرات التي يتناولها مع أحمد بعد أخذها من نادر .أما نادر فهو أقلهم في المستوي المادي قليلًا، تعرف عليهم في إحدي حفلات الساحل الشمالي و أصبح صديقهم المقرب حيث كان يكبرهم بسنتين، و لكنه في مثل عمر أحمد أو حتي أكبر بشهور .

ينسحب حسام من الطرابيزة و يذهب لأحمد.

حسام :عايزك يا أحمد.

حسام .ايه في ايه مالك.

أحمد :ف ايه ياد؟

حسام :إنت مش عاجبني ياد مالك كدة فيك ايه متغير مش أحمد بتاع زمان.

أحمد :مالي ياعم فيا إيه مانا ع طول كدة إيه اللي اتغير فيا ماعدش بيطلعلي دقن مثلًا.

حسام :ظريف !لا بس البت شغلت دماغك إيه يا صاحبي وقعت ولا إيه دانا مش بثق إلا فيك في حوار البنات دا إنت أستاذ بالرغم أنك ماكلمتش بت قبل كدة بس ماعرفش بتفهم شخصيتهم ازاي، و ياما اتحايلت عليك و كان في مزز يحلو من علي حبل المشنقة هيموتوا و يكلموك أو حتي انت تبصلهم !يجي عآخر الزمن حتةبت توقع أحمد سيف الدين لا دا الزمن اتغير.

أحمد :بص يا حبي الموضوع دا مش هينفع نتكلم فيه قدام العيال عشان دول عيال شمامة :واحد ع طول مقضيها و التاني مش بيفوق أصلًا عشان يعرف هو في كلية ايه .بكرة أكلمك تجيلي نرفع الدخان للسقف و نتكلم بيس.

حسام " بيس يا رفيق."

نادر)بصوت مرتفع (إيه يا كوبلز انتو واخدين بعض عن حب عايزين ننجز يلا بقي.

أحمد:حاضر يا ماستر جايين.

يجلس الجميع، و يحكي كل منهم يومه و كيف سار و ظروف الحياة،و يتفقون علي نفس الميعاد غدًا، ولكن في مكانٍآخر،لتتوالي جلسات الأنس و الفضفضة مابين حديثٍ عن البنات من محمود و نادر و حديثٍ عن الاستافات و مشتقاتها من حسام وأحمد

****

الفصل الثاني :

الملاك الحارس

يدخلأحمد إلي الشقة و هو يحمل من التعب ما لا يتحمله شيال في محطة مصر، بعد معاناة منه لاخفاء قدمه التي بها عرجة خفيفة، فهي تسبب له جهد غير عادي، فهو يجاهد لاخفائها كمجاهدة جندي روماني قديم .يستلقي أحمد علي الكنبة التي ترسو بصالة شقتهمالتي ليس لها ملامح .يجلس ليعطي جسده بعض من الراحة أمام التلفاز فهو من هواته منذ صغره،يحبهحبًاشديدًا . و لكن السنوات القليلة الفائتة لم يعد يهتم سوي فقط بمتابعة الأفلام الأجنبي و قناةالأهلي و القنوات الرياضية و معشوقته الخاصة ناشيونال جيوجرافيك .فأحمد لا يعشق في قنوات التلفزيون سوي هذه القناة،لا إعلانات، لا مجاملات، لا يوجد بها مذيع، لا يجيد الكلام .قناة يعتز أحمد بمشاهدتها .و بعد أن فتح التلفاز أخذ يقلب في القنوات ذات اليمين و ذات اليسار في محاولاةٍ جادةٍ لتذكر رقم القناة.وجدها أخيرًا، ليضع الصوت علي وضع صامت و ينظر إلي عالم البحار تارةً و الي الغابة تارةًأخري، و لكن كل ما يهواه هو البرامج عن السجناء و حياه السجن .لطالما غوته تلك البرامج؛ فهو يعشق تدفق الادرينالين في جسده، و ثورته، و فوران جسدة بالمشاعر .و بعد أن غلبه النعاس قرر أن يدخل غرفته .و في محاولةٍ بائسةٍ يخرج مفاتيح غرفته، و يدخلها قبرهالاختياري :نموذج من الدرك الأسفل من النار .يجلس علي طرف السرير ليتحسس قدمه

المصابة و يتذكر الحادثة، و يتذكر والده .يتذكر كيف كان سعيدًاجدًا بعد العودة من رحلة الصيد مع أبيه سيف الدين، و كيف كان الأمر كله برمته يتجه إلي كارثةٍ لولا تدخل أبيه في الوقت المناسب.كان الوقت في شتاء يناير القاصي، و الطرق مبللة و منزلقة، ليجد سيف أمامه سيارةًأخري في عكس الاتجاه، و في محاولاةٍ بائسةٍ في تفاديه، انزلقت الاطارات الأمامية للسيارة مسببةللحادثة، و عند قرب الاصطدام، يغلق أحمد عينيه و يذرف دموعًا ساخنةًعلي وجنتيه في تذكره لما حدث، و لكنه يمسحها مسرعًا في محاولةٍ منه عدم الظهور بشخصية ضعيفةأمام نفسه .

يخرج أحمد نوتته المحببة إليه و يري العنوان " ترانيم زبانية الجحيم " و يكتب : إلي صديقي الموت..إلي متي ستظل في غفلةٍ عني..فأنا من أريدك.. و لكن أنت من تبخل علي بالزيارة ..لماذا تختار من هم أقل منك في القوة؟ لماذا لا تواجهني أو تواجه أمثالي؟ لماذا لا تريد أن تعترف بخوفك ممن هم خلقوا ليكسروا قوانين الطبيعة الست ممن تهواهم؟ألست ممن تريد أن تضمهم إلي سجلك الحافل بالطيبين؟أرجوك يا صديقي لا تبخل علي بالزيارة.فأنا مشتاقٌإليك اشتياق الحبيبة لحبيبها الغائب منذ سنوات .إلي أصدقائي الموتي، لقد تحررتم ممن لا يرحمون، فالدنيا أصبحت مثل الجحيم :دركاتٍ و دركاتٍ من الغائبين الحاضرين المذنبين .افرحوا أيها الموتي فإنكم قد تحررتم ."ينهي أحمد كلماته هذه،و يتذكر بعض مشاكل أصدقائه؛فأحمد صديقٌمخلصٌ لكل من حوله، الكل يتمني أن يصبح معه إلي الأبد، فهو دائمًا ما يحاول نصيحة أصدقاءه عند وقوعهم في مشكلته :فهذا لا يستطيع أن يعترف لحبيبته، و هذا أهله يضيقون عليه الحياة، و آخر لا يستطيع شراء مايحلم به، فيساعد الجميع .ولكن أحمد، من يكون إلي جانبه؟؟هو وحيدٌ في عالمه الخاص، لا يري و لا يسمع و لايتكلم، يسير هائمًا كزومبي فيأحد الأفلام الأجنبية، لا يشتهي إلا الذهاب بعيدًا عن هذا العالم الحقير .لا يتذكر طفولته !من منا يستطيعتحملألا يتذكر شيئًا من طفولته !لا

يتذكر العشر سنوات الأوائل في حياته !وحيد !يحس أحمد في هذا الوقت بسارية من النمل تسير في قدمهمعلنةحالة خمولها .ينفضها أحمد نفضة كادت أن تخلع قدمه من ساقه .يحررها و يتركها تسقط، حتي ظن أن قدمه ستلامس قاع الجحيم .و في غفلته هذه يسحبه النوم إلي أعماقه السوداء،متذكرًامالايحب، بعد أن شعر بصداعه المعتاد في جانب رأسهالأيمن،و يذهب في طاعةٍ عمياءٍ للنوم، و يستجيب أخيرًا لالحاح جسده عليه فيطلبه للراحة .ينام، و في وسط نومه يتذكرها.فأحمد من القلة المختارة علي الكوكب التي لا تحلم .فأحمد لا يري إلا شاشة سوداء قبيل نومه و كأنها سينما تسعيناتي لا يري فيها شئ سوي السواد و عمق البحر الهائج .كأنه فيلمٌ حصريٌ لا يعرضإلا له هو فقط) أحمد سيف الدين .(يتذكرها وسط كل هذه العوائق .هي ملاكه الحارس، لا يعلم لها أرضًا ولا يعلم لها اسمًا .فقط في خياله تقف كل يوم في شرفتها، تنظر إلي الشارع العريض الملئبالأضواء، و فجأة !ينتفض أحمد من النوم مفزوعًالما قد ألم به من صداع نصفي كاد أن يكسر دماغه .يصرخ أحمد صرخةً و كأن روحه تتمزق .و كأن الملائكة في السموات السبع قد صموا عنها و سمعها زبانية الجحيم .يجلس في نصف جلسةٍ بجسده الشبه عاري إلا من قليل، يقوم متحاملًا علي نفسه في محاولةٍ للوصول إلي الحمام، ليقوم بطقوسه المعتادة التي دائمًاماتنتهي بوقفةٍ مع النفس أمام المرآة .يدخل إلي الحمام في محاولةٍلإزالةآثار الدموع من علي عينيه التي لا تستطيع أن تميزهما من الهالات السوداء التي لا يقدر عليإزالتها أعتي مساحيق التجميل لموديل رشيقة في حفل لتوزيع الأوسكار .يقف أمام المرآة، ينظر إلي جسدهالمبلل بالنواقض ماتكفي لجذب انتباه عسكري مرور في رمسيس .ينظر إلي أوشامه،إلي الصليب الذي يعطي له وقار و هيبة فوق وقاره .لا يعلم أحدًا لماذا نقش أحمد ذلك الصليب علي جسده، و لكنه متيقنًا أنه في يوم من الأيام سيكشف عنه .ينظر إلي نفسه في شفقة غريبة؛فأحمد

هذهالأيام يشعر بشعور مختلف، يحس أنه متغير، لايدري كيف وصل به الحال إلي ماهو عليه،لا يدري كيف ولا متي ولا أين تغير كل شئ .فكل شئ تغير بعد الحادثة .ينظر أحمد إلي المرآة، لا يعرف من يواجه في الناحية المقابلة؟مسخ؟ لا يؤمن بشئ سوي نفسه، لا يعلم إلي متي سيظلفي تلك الحالة .يخرج أحمد من الحمام، و يشعل سيجارته المحببة الـ L & M . يجلس في الصالة و يتذكر والدته الحبيبة، يحبها فعلًاولكنهالا تفهمه .لا أحد يفهمه .يتذكر والده وأنه سوف يرجع في آخر الأسبوع. لكنه غير مكترث، فالعلاقة بينه و بين والده اندثرت و أصبحت سطحية بعدما ما حدث، لم تعد تجمعهماصلة الأبوة المعروفة .فالعلاقة أصبحت المال الذي يرسله سيف إلي أحمد كل شهر، و بعض النصائح التي لا تسمن ولا تغني من جوع .حدث نفسه قائلًا":أقف و كأن علي رأسي الطير .لا أعلم لماذا وصل الحال بيني و بينه إلي تلك الحالة، و لكن في أغلب الأوقات أقول هذا أفضل لي و له؛فأنا لست جيدًافي الاستماع إلي النصائح ولا أعمل بها كثيرا ؛قد لقلتها أولأني لا أريد من أحدٍ أن ينصحني !فعندي نفسي أنصحها بما فيه الخير لي .فلا أحد يهتم بي ولا اهتم لأحد .فأنا لنفسي و نفسي لي، لا يملكها سلطان ولا يقترب منها إلا كل عزيز، و أحيانا العزيز هذا يكوي بناري، فأنا مثل النور الأزرق الذي يجذب إليه الحشرات من البشر، و عند اقترابه أكثر من اللازم يحترقون.ليس عندي عزيز إلا من رحم ربي ."فأحمد كان من البشر غير المكترثين سوي بنفسهم، ليس أنانية ،و لكن بعدًا عن البشر الذين أصبحوا بالنسبة إليه كائنات لزجة ليس لهم أي تأثير علي حياته .و في وسط تفكيره، يسمع صوتًاغريبًا علي أذنه، فهو لم يعهد إليه من زمن بعيد:إنه صوت آذان العصر.يجلس أحمد و يطفئ سيجارته، لا يعلم لما فعل ذلك؟ أهو احترام للآذان أم هو فقد الرغبة في اكمال السيجارة؟ لم يذق أحمد طعم الصلاة منذ مدةٍ كمدة سجن نيلسون مانديلا و ازداد عليهم تسع، فكلما يسمع الآذان يحس بشئ من الرهبة

المخيفة داخله، ولكنه لا يكترث لها ليكمل ما بدأه .يخرج أحمد إلى الشرفة و يشعل سيجارة أخري و ينظر إلي يساره :إلى بيت الملاك الحارس .لا يعلم ماذا دهاه؟ فأحمد ليس من الذين يقعون في الحب؛ فهو غير مؤمن به .و لكنه عندما رآها لا يعلم ماذا أصابه؟ أهو فيروس الحب؟ أم هو إعجاب بالملاك الذي لا يمكن أن يكون قد خلقها الله عبثا؟ فهو وضع بها كل لمساته الفنية الجميلة لتخرج إلي العالم بهذا الشكل غير المتاح لأمثالي .فأنا قد تحولت لشيطان منذ أمد، فكيف يجتمع السلالتين؟ فبغض النظر عن تشكيلها الجسدي و النفسي، كيف يجتمعون في المشاعر؟ قرر أحمد في قرارة نفسه شيئًا لم يكن في يومٍ يعتقد أنه سوف يفعله .و في مشاورةٍ مع نفسه استغرقت أكثر من نصف ساعة- كأنه مفاوض أممي يضع خارطة الطريق -قرر أن يقوم بما لا يمكن تصديقه .ارتدي ملابسه و أشعل سيجارته و الصداع يقترب من عينيه، و لكنه في لا مبالاة . يخرج إلي الشارع مبتهجًا تكاد الابتسامة أن تكون كماركةمسجلة بابتسامةٍ كادت أن تلامس أذنيه،متجهًا إلي العمارة المجاورة له من ناحية اليسار .يسير بخطي مضطربة تجاه عمارتها :عمارة ملاكه الحارس .يقف أمامها، و يدور برأسه متأملًا الشوارع الجانبية، و كأنه يقوم بسرقة بنك من بنوك سويسرا .نفض عن رأسه كل مايشعر به .يتجه ناحية بواب العمارة عم سعيد .عم سعيد رجل نحيف، طويل، أسمر سمرة أبناء الجنوب، وجهه دائمًا شاحبًا، ولا تفارقه سيجارة الكليوباترا الصينية .يرتدي جلبابًا دائما ما يكون فضفاضًا .لا يحب أطفال شارعه ولا أطفال الشوارع المجاورة .لعب الكرة أمام العمارة الجالس بها أهون عنده من انهيار السد العالي و الأهرامات مجتمعين .يسير و اقفًا أمامه،دائرًا بينهم هذا الحوار .

عم سعيد :أحمد بيه عاش مين شافك واحشني و الله يا بيه.

أحمد :الله يخليك يا عم سعيد إنت أكتر.

عم سعيد :فينك كدة مختفي بقالك كام أسبوع ماحدش بيتبارك برؤيتك ليه؟ و الله الشارع مضلم من غيرك.

أحمد :يا راجل يا بكاش . بضحكة مصطنعة يرد بها أحمد علي عم سعيد المتملق، و لكنه فعلًا يكن لأحمد بعضًا من الحب و الرهبة لمنظر أحمد المختلف عن باقي الشباب.

عم سعيد :و الله يا أحمد بيه أنا بحبك لله في لله.

أحمد :و إنت كمان يا عم سعيد .ها أخبار ابنك العفريت الصغير ايه اسمه ايـــ.....هـ

عم سعيد :محسوبك إبراهيم.

آه ابراهيم أخباره ايه في سنة كام دلوقتي؟

عم سعيد :إبراهيم عقبال ماشوف عيالك في 5 ابتدائي و بيدعيلك و الله.

أحمد :ماشي كنت عايزك في خدمة يا سعيد و عارف إنك الوحيد اللي هينفعني .يخرج أحمد من جيبهعلبة سجائر L & M و ترافقها ورقة من فئة عشرين جنيه و يدسها في أيدي عم سعيد.

عم سعيد :ايه ده بس يا أحمد بيه خيرك سابق و الله.

مل أحمد من الحوار الطويل الذي لا يدر بفائدةٍ حتي الآن.

أحمد :عم سعيد إنت تعرف السكان في الدور التالت شمال الشقة بتاعتنا عارفها.

عم سعيد :اهـــ ماتقول كدة من الصبح يا عم أحمد فهمتك يا نمس.

يضحك عم سعيد في نشوة بمعرفته ماذا يريد أحمد . يضحك أحمد من تلقائية عم سعيد و يقول له :ها تعرفها ولا أشوف حد مكانك البوابين كتير.

يا عم أحمد عيب علي الطلاق ماحد يعرف يجيبلك ارارهم غيري.

ها يا عم تعرف عنهم ايه؟

بص يا سيدي الدور ده ساكن فيه الأستاذ محمود محمد الفناجيلي في شقة .47 هو أصلًا من القاهرة .دا راجل محترم أوي كان عايش هو و عياله في القاهرة و نقل للمنصورة بعد وفاة زوجته أستاذة منال .و هو أصلًا شغال في شركة اتصالات كبيرة أوي و بسم الله ماشاء الله مبسوطين، بس مش بيظهر كتير ولا هو ولا ولاده لتلاتة.

عندما سمع أولاده الثلاثة لم يعرف ماذا ينتظره، و في شغفٍ كشغف طفل في تالتة ابتدائي ينتظر أمه لتأخذة من المدرسة قبل زملائه أنصت .ها مين ولاده يا عم سعيد؟

بص يا سيدي الأستاذ محمود عنده 3 عيال :بنتين و واد لسه صغير لسه في تالتة ابتدائي عنده اللهم صلي علي النبي..... و أخذ يحك رأسه و كأنه يتذكر و أحمد أمامه تفضحه أعينه و ينتظر منه الرد .آه الكبيرة حنان عقبال عيالك كدة في كلية في القاهرة و بتروح هناك عشان تذاكر و ماتسيبش كليتها .هي طويلة حبتين و بيضة و مليانة حبتين و محترمه أوي.

كويس .

أشعل أحمد سيجارة، و أشعل أخري لعم سعيد .شكره عم سعيد و أسرد.

و البنت التانية يا عم أحمد آلاء بنت كدة زي ماتقول عجيبة مابشوفهاش إلا و الضحكة مرسومة علي وشها .كنت بشوفها أول ما جم دايمًا بتصبح علي و علي أم إبراهيم، و دايما بتحب تلاعب

الواد إبراهيم مع أخوها الصغير .بنت محترمة أوي و متدينة جدا وخجولة و أدك لسه مخلصة ثانوية عامة .يارب يرزقك بواحدة زيها يا أبوحميد.

أطلق عم سعيد رصاصة بتلك الكلمات، و أحمد في محاولاته في اجماع قلبه الذي انكسر و تفتت إلي مليون قطعة جاوبه .:كمل يا عم سعيد.

اه ياسيدي و أخوهم الصغير أصغر من الواد إبراهيم يجي سنة سنتين و دايمًا يلعب معاه.

هو كدة بس يا عم سعيد .

لا يابني بص البنتين باين عليهم إنهم قريبين من بعض أوي عشان دايمًا بيخرجوا مع بعض و البنت اللي اسمها الآء الوسطانية دي دايمًا بتقف في البلكونة الساعة 3 العصر مش عارف ليه .و كل يوم خميس تخرج مع أختها و أخوها الصغير يتفسحوا، و أبوهم ساعات بشوفه ينزل يقعد علي القهوة اللي جنب مديرية الأمن .كنت بشوفه لما كنت باجي نازل العباسي.

ماشي ياعم سعيد جاوبه أحمد و الفرحة تكاد أن تقفز من عينه.

أحمد :الخدمة الأخيرة بقي عايزك تعرفلي بتروح فين و هتخش كلية ايه و ليك الحلاوة بس و اللي خلقك لو عرفت إن الكلام دا اتسرب لحد صاحب العمارة هيعرف انت بتعمل ايه و مش هيرحمك.

يضم حاجبيه في ضيق مصطنع و ينفجر ضاحكًا.

عم سعيد :يا عم أحمد عيب عليك دا العشم برضه و الله أزعل دا كفاية خيرك اللي مغرقني أنا و الواد.

أحمد :خلاص هتعشم فيك خير المرة دي.

عم سعيد :ماشي.

و في أثناء حديثم قاطعتهم رنة موبايل أحمد المزعجة برقم حسام .أجاب أحمد التليفون مردداً : ايه يا بوب فينك.

ايه يابني احنا مش متفقين إني أجيلك النهاردة.ايه فاكس ولا ايه.

لا ياعم حسام اشطة أنا في مشوار جنبنا و جاي البيت حالًا.

مشوار !!مشوار ايه ؟

اتك علي الصبر يا بوب و لما نتقابل هرسيك علي الحوار كد.....

صمت أحمد و كأنه وقع في بئر ليس له نهاية، صمت و كأنه تمثال أبو الهول لا تفرقه عنه .لماذا ؟ !لأنه رآها الآن .يعلم اسمها، ملاك لا يستطيع أحمد بيك شوقي ولا صلاح جاهين أن يصف جمال هذا الكائن الملائكي، تكاد أن تضئ بنورها الخافت .مرت من أمام أحمد و هو يقف إلي جانب عم سعيد و حسام معه علي التيليفون .أحس بصمت رهيب، و برغبة في الطيران، حتي برز له جناحان من الفرحة .يقف أمام كل هذا الجمال الذي لم يخلق مثله للعباد .لا يعلم أحمد أهي حقيقية أم هي وهم .لا يدري ماذا يفعل أو ماذا يفكر أو .... أسئلة كثيرة خيمت علي المشهد . قاطعه صوت حسام و هو يسبه بأفظع الشتائم لتركه علي الموبايل و عم سعيد بجانبه يهزه، ولكنه لا يهتز .تسمر في الارض كأنه مسمار صدئ في كرسي قهوة من الثمانيات، طبعت هي علي عقله ملامحها بلا هوادة ككرباج سوداني قد نقع في الزيت لمدة احتلال الجزائر، ضربته به لتبقي عقله متيقظا، لتبقي عقله متذكرًا لها، و كيف له أن ينساها وهي من أعادت إلي الصفيح الصدئ الذي بجانبه الأيسر الحياة .أفاق من شروده و من نشوته و أجاب علي حسام . اقفل يا عم دلوقتي و تعالالي ع البيت كمان نصايه يلا .لم يكمل حسام حديثه و أغلق أحمد الخط .تشكر يا عم سعيد

.ينطق و كأنه مغيبا، و كأنه منومٌ مغناطيسي من ساحرٍ مغربي .عيناه مثبتتان علي نقطة اللا رجوع . عيناه مثبتتان علي آلاء .أخذ ينفث دخان سيجارته ببطئ، حتي أحس بتغلغل الدخان إلي داخل قفصه الصدري، وانتهت النشوة من اللقاء .و بدأ يعود أحمد إلي الحياة الواقعية، و تذكر حسام و موعده معه، و انطلق هائمًا لا يعرف ماذا حدث له .دخل إلي الشقة تملئ السعادة قلبه في مرة من المرات التي يبتسم فيها الحظ له و يرزقه هدية لا يعلم تبعات استلامه لها :أستغير حياته إلي الأحسن؟ و ماهو الاحسن بالنسبة لأحمد ؟ !سؤالٌ من الأسئلة المحرمة سؤالها مثل كيف خلق الكون، هل سيبقي أحمد علي حاله و ينتظر موعد الموت البعيد بعد المحيط القطبي الجنوبي؟يعود أحمد إلي أرض الواقع، و سيجارته ذبلت كذبول وردةٍ في فصل الخريف أيعقل ؟ . !و في عز خلوته مع نفسه قاطعهما جرس الباب و من وراءه حسام اللعين .تبًا لجرس الباب و تبًا لحسام في يوم واحد و تبًا لمخترع الأبواب .يقوم أحمد متحاملًا علي قدمه المصابة، و بعودة الصداع النصفي إليه، لعن اليوم ولعن من كان السبب في حدوث تلك الصدفة .فتح أحمد الباب ليجد حسام مبتسما ابتسامة صفراء ليفهمها أحمد.

خش يا عم و متلوكش كتير.

ايه يلا إنت خيبت خلاص ايش حال أنا الي مكلم أهلك امبارح و النهاردة عشان أشوفك مالك . معايا اصطباحه عنب هتخليك تعدي المتوسط و إنت بتقلع البنطلون.

هات يا ابن الشيطان.

ناوله حسام سيجارة محترمة المعالم متباينة التضاريس، لا تعلم لها بدايةًمن نهايةً .جلس أحمد و حسام و هم يحتسون النيسكافيه و السيجارة " المتلغمة."

بلح ياد يا حس تسلم الايد اللي لفت الجوينت دا تسلم.

عشان تعرف بس إنك حبيبي.

حبيبك ايه ياد ماتظبط.

دايمًا كدة حادف شمال .

المهم طمني عرفت حاجة عن الحورية الهربانة من الجنة اللي غلبت أحمد سيف الدين.

اسكت ياعم بأرك دا .

امتعض أحمد في محاوله لاختبار حسام.

ايه ياعم الي حصل قول.

عرفت كل حاجة عنها.

ضحك أحمد بهيستيريا ساعدته فيها صديقته سيجارة الحشيش . ضرب حسام أحمد بنصف قبضة علي صدره . دانت عيل رخم احكي ياعم أحمد.

روحت ياعم لسعيد اللي شغال بواب علي عمارتهم و قالي كل حاجة :البت متدينة و هادية و خجولة و كمان مؤدبة و المصيبة ادنا في ثانوية عامة بس أنا طبعًا أكبر منها.

طب ماتسيبلي الطالعة دي يلا.

ولا اظبط.الحوار دا فاكس ماتكلمنيش فيه كده .

أوبا أحمد سيف الدين وقع يا بشر .لا واحدة واحدة كده علي عمو و قولي شفتها.

أمال لما كنت بكلم أهلك و مرديتش دا ليه؟ مانا كنت شايفها و بعدين أوقاتك زبالة زيك.

ياعم معلش كمل كمل.

بس يا سيدي بتخرج كل خميس مع أختها الكبيرة و أخوها الصغير .أبوها بينزل يقعد علي القهوة اللي جنب المديرية يوم و يوم .أمها ميتة و أختها الكبيرة مش عارف في كلية ايه .البواب الرغاي ماقلش حاجة تانية.

معرفتش رقمها القومي بالمرة .في إيه ياعم أحمد اوعي يكون الي في بالي.

ينظر أحمد لحسام في لحظة تردد و يبادره حسام قائلًا :فوق يا صاحبي.

يخلع أحمد التي شيرت الذي يرتديه و يسأل حسام :هي الساعة كام معاك؟

أربعه ونص .ليه؟

طب قوم بينا نخش البلكونة.

يتمشيا حتي يصلا إلي الشرفة .ينظر حسام لأوشام أحمد و يطلقها :مجنون و الله! ايه يابني لازمته الصليب بس إنت مش مسلم ولا إنت مجوسي ولا ايه.

ولا اخرس بقي مالكش دعوة.

يخرجا إلي الشرفة .يراها أحمد و هي تجلس في الشرفة واضعة لسماعات الأذن،ذاهبةً إلي عالمها الخاص.

شايف ياد.

يا امي بسم الله ماشاء الله ايه دا يابني !لأ انت يوم ماتقع تقع علي واحدة زي دي يخربيت أهلك بس نتكلم جد شوية.

ارغي.

فوق يلا !إنت من امتي و كانت النظرة دي في عينيك؟ إنت نسيت نفسك ولا ايه؟ من امتي و أحمد سيف الدين كان بتهمه البنات؟ الله يرحم ماكان بنات المنصورة كوليدج كلها نفسهم أحمد يبص لهم ولا حتي يعدي من أدامهم .يجي عي آخر الزمن بنت و محترمة و متدينة زي دي توقعك ! مانت عارف إنها عمرها ماهتبص ليك ولا نسيت؟ أحمد البت دي مش للي زينا .احنا بتوع صحووبية و طلعة الساحل و صورتين علي الانستجرام و فسحتين و بوستين و كان الله بسرها عليم .دي ياحمد من الناس بتاعة الخطوبة و الارتباط و مش بتاعة صحوبية ولا كلام من دا.

نزلت كلمات حسام كحديد مصهور يصب داخل قلب أحمد، يزيده صلابة .فبالرغم من صدق كلامه و صوابه100% ، إلا أن أحمد لا يعرف حقيقة شعوره .يرد علي حسام و نظرة الضعف تكاد أن تخرج عينيه من محجريهما .عارف يا عم أرشيمدس نقطنا بسكاتك .هننزل فين النهاردة ياعم النحس.

كلم العيال و شوف اللي اسمه محمود و المهييس الي اسمه نادر فين و ننزل.

هو النهاردة ايه.

الخميس.

أبويا راجع الخميس الجاي و مش عارف هعمل معاه ايه.

يتذكر حسام والده و تظهر عليه علامات التأثر.

معلش يا حس غصب عني امسحها فيا يا صاحبي.

لا ياعم عادي يجي بالسلامة.

و في حركة مفاجئة لتلطيف الجو يفاجئ حسام أحمد قائلًا :إنت قولت النهاردة ايه،الخميس، حبيب قلبي يبقي لازم نشوفهم النهاردة ياسطي أنا فاكس العيال وش.

خلاص ياصاحبي اشطة نفكس للعيال و نشوف اللي مدوخة أحمد سيف الدين دي.

حبيبي يا بوب.

ينتهي الحوار بينهم علي تلك النهاية و ينتظران ميعاد خروج الملائكة الثلاث لتتبعهم .....

****

الفصل الثالث :

الجامعة

يسير الوقت ببطئ ترس ساعة سويسري، لا يعلم أهذا الذي في الساعة عقارب أم سلحفاة .يجلس حسام إلي جانب أحمد و ينتظران في الشرفة الملائكة الثلاث .و في ذلك الوقت يسمع أحمد مفاتيح و هي تحاول فتح باب الشقة .يطلب أحمد من حسام ألا يتحرك من الشرفة و يخرج ليري من بالباب، و إذ بها أمه تدخل عليه بحقيبة .تعانقه و تطبع قبلتين علي جبينه و أخري علي جبهته.

واحشتني يا حبيبي.

انتي أكتر يا ماما أخبار تيتة ايه واحشاني هي كمان.

كويسة يا حبيبي التعب كان زاد عليها شوية بس الحمد لله دلوقتي و نفسها تشوفك.

يمتعض أحمد و يبادلها اطراف الحديث.

إن شاء الله يا ماما بس إيه الي جابك.

جايبلك أكل يا حبيبي شكلك مش بتاكل .هخش أحضرك أكل ماشي.

أوك يا ماما و حضري لحسام كمان.

ايه دا حسام معاك هنا.

اه يا ماما.

طب سلملي عليه.

حاضر.

تدخل الأم إلي المطبخ و يرجع أحمد إلي الشرفة.

ايه يا عم مين ع الباب.

دي أمي .

جعان ؟ !

بصراحة ميت من الجوع.

طب أمي هتعملك معايا .

تسلم ايدها يا معلم بس الساعة داخلة علي 7و ماحدش نزل من العمارة إيه هي مش هتنزل.

و أنا ايش عرفني يا حسام، يقولها أحمد في احباط .

يستشعر حسام تلك اللحظة من الاحباط و يرد عليه :ماتقلقش إن شاء الله تنزل.

أحمد.

أيوا يا ماما.

الأكل يا حبيبي.

ناولت والدته الطعام إليه، و دخل به إلي الشرفة لتتبعه أمه و تلقي السلام علي حسام.

عايز حاجة يا أحمد أنا راجعة لستو ماشي يا حبيبي.

ماشي يا ماما.

تخرج والدة أحمد من المنزل و يبقي هو و حسام ليخططا ماذا سوف يفعلان و كأنهما موسوليني و هتلر يضعا خطة للحرب.

بص يا معلم احنا بس نشوفهم هيرحو فين و هيقعدو في أنهي كافية و ارشق معاهم في نفس المكان.

اشطة تمام بس اسمعني مش عايزين نلفت الانظار عشان مانسببش ليهم أي احراج.

خلاص امين يا صديقي .

امين.

يتناول أحمد و حسام طعامهما و يحتسي كل منهم النيسكافيه و سيجارة لاكمال الوجبة و كأنها لا تكتمل إلا بها .وفي غفلة من أحمد تجاه شرفتها يلمح ثلاثة أشخاص يخرجون من العمارة المواجهة لمنزله.

ولا هما دول ؟؟

يلتفت أحمد مسرعا :اه هما يلا بينا .

يرتدي أحمد ملابسه في سرعة غلبت سرعة شوماخر في الفورميلا وان .يخرجا هما الاثنان متابعين لهم و يسيران خلفهم، ولكن في الجهة الأخري من الطريق تحسبًا لرؤيتهم .تسير آلاء و حنان و أخاهما الصغير، يستامرون و يضحكون ضحكاتٍ خافتةٍ حتي لا يلفتا انتباه أحدًا من الحشود التي بجانبهم :و هذا إن دل يدل علي احترامهم الزائد .و أخذا يدخلان المحلات المخصصة للأطفال و البنات في محاولةٍ لايجاد ما يناسبهما من الملابس و الأحذية .يتبعهما أحمد و حسام من وراء ستار .يخرج آلاء و أختها و أخيها و يتمشيا علي ضفاف نهر النيل بالمنصورة، ليشعرا بالتعب، و يدخلا إلي أحد الكافيهات الهادئة التي لم يطأها أحمد قبل ذلك بالرغم من احاطته بكل كافيهات المنصورة.

ولا يا حسام إنت تعرف الكافيه دة .

اه ياعم بس دا هادي أوي و بتاع ناس محترمين ماقعدتش عليه إلا مرة واحدة كنت مع اختي و صحباتها.

طب إيه نخش؟؟

استني حبة و لو مخرجوش في حدود ربع ساعة نخش.

أوك.

انتظرا لما يفوق الربع ساعة، و بعدها دخلا الي الكافيه :مكان أنيق هادئ إلي درجة الملل، موسيقي كلاسيكية في الخلفية و طقم من ال "الكنب و الكراسي "الكلاسيك، لونٌبنيٌ هادئٌ يطغي علي المكان .يدخل أحمد و ينظر في كل الاتجاهات، و كأنه جنديٌألماني يبحث عن ضحية سوفيتية .أخذ يبحث بعينيه حتي فاجئه حسام قائلًا :اهم يلا بينا نقعد هناك كده بحيث نشوفهم و مش يشوفونا .جلسا الاثنان خلف عمود مغطي بخشب مطلي بلونٍ ذهبي حيث كانا يروهم .جلسا يسترقا السمع منهم في محاولةٍلمعرفة أي شئ عنهم ليجد حسام يقول له "البت دي غريبة أوي يلا ياحمد هي و اخواتها .هاديين أوي و جمال أوي، حتي الواد الصغير، و أختها الكبيرة محترمة أوي.هي اسمها ايه ؟؟

الكبيرة اسمها حنان و الصغيرة آلاء و الواد الصغير مش عارف.

أحمد قبل ماتاخد خطوة جديدة ركز و فكر عشان خاطري لأول مرة أنا الي هنصحك بجد البنت لو عجباك بجد خد خطوة لو مفكرها زي اللي محمود يعرفهم يبقي افكس للحوار كله البنت دي ماتستاهلش كل دة منك.

حاضر يا حسام ربنا يقدم الي فيه الخير.

يحس أحمد باحتياجه للمرة الاولي في حياته للنصيحة و يجدها من حسام الذي كل يوم يزيد تقربه من أحمد.

قال أحمد :المهم أنا عايز أعرف الفيس بتاعها مفيش حل.

بص أنا ممكن أخلي أختي تدورلك و تظبطك أوك.

لا خلي أختك برة الموضوع أنا هبقي اتصرف .أنا هروح أطلب لنا حاجة الويتر ماعرفش مش شايفنا ولا إيه.

يمشي أحمد إلي جانبهما و يذهب الي ما يشبه ركن خاص بالمشروبات يقف عليه شاب في الثلاثينات .كان هذا الركن أقرب إلي آلاء من أختها فسمعها و استرق السمع منهم.

حنان أنا عايزة اغير اسم الاكونت بتاعي عشان مش عاجبني الاسم القديم حاسه طفولي أوي.

و الله يا بيبتي كنت عايزة أقولك كدة.

أوك هغيره النهاردة لما نرجع هخليه آلاء محمود الفناجيلي بالانجلش.

كويس كده يا حبيبتي خليكي علي طبيعتك و كمان عشان الجامعة .التنسيق لسه ليه حوالي 3ايام و هيبان ربنا معاكي بقي.

يارب يا نونة أنا خايفة موت.

ماتقلقيش عايزة أسنان زيي ولا نفسك في حاجة تانية.

لا أنا عايزة صيدلة إن شاء الله.

خلاص ربنا معاكي .

يحس أحمد بأن أسرار الكون قد أتيحت له بمعرفته لتلك المعلومات الصغيرة عنها، و كمن ربح يناصيب .يطلب أحمد 2كابيتشينو في استغراب من الويتر و يأخذهم و يرحل إلي الطرابيزة مناقشًا لحسام .

ولا عرفت الاكونت بتاعها.

نعم !ازاي ؟

لقيتها سبحان الله بتتكلم عن الاكونت بتاعها و عرفت الاسم.

يابن المحظوظة ابسط يا عم

لا و كمان عايزة تخش صيدلة.

الله اكبر يعني كمان دحيحة و شاطرة والعه ياعم أحمد يلا بينا نخلص الشوبين دول و نخلع عشان الحاجة كلمتني في الموب و عايزاني .

أوك.

يشرب أحمد و حسام الكاباتشينو و يخرجا .و حتي لا تلحظا الفتاتان خروجهما خرجا من باب آخر للكافيه .عاد أحمد للمنزل .السعادة أصبحت شئ أحب طعمه من وقت معرفته ب آلاء . جلس في غرفته مفكرًا في كلام حسام في الكافيه و قبلها في الشرفة، ولا يعلم انطفأت شمعة سعادته عندما تذكر كلام حسام، فهو محقٌ بالفعل، أحمد لا يريد أن يسبب لتلك الملاكة الصغيرة أي مشكلة، فهي ليست من البنات ال fakeالمهتمين بالموضة و الـ boyfriendsو غيرها من تفاهات هذا الزمن بالنسبة للبنات .فمعظمهن الآن يهمهن التصوير سيلفي و أخذ مواضع للتصوير كال duck faceو غيرها، و يهمهم الموضة و البناطيل المختلفة ألوانها كا قوس قزح و ال make upولا يعتبرون أنهم سوي أحرار في تصرفاتهم يفعلون ما يشاءون وقتما يشاءون من البوي فريند إلي التسوق بالمول و أخذ السيلفي، ولا اعتبار إلي الأهالي و نظرات المجتمع لهن من النصح .أأنصح و أنسي نفسي؟ كن في حالك فلست أفضل منهن !علي الأقل هم ليسو ممن يشربون السجاير و إن كان معظمهن الآن يتجهن لذلك "مالكش دعوة بحد ياعم خليك في حالك إنت ايش عرفك بظروف الناس فكك بقي و ركز هتعمل معاها ايه ."كانت تلك نفس أحمد تحدثه و تناقشه كبان كي مون يشاور مبعوث إسرائيل لفك الحصار عن غزة .يفكر أحمد كثيرًاو ما أصعب أن تمتلكك وباء التفكير و أنت لا تريد أن تفكر .تشعر أنك ستقاد للجنون ولا تعرف طريقة للخروج من تلك المعضلة .يتذكر أحمد اكونت الآء علي الفيس و يخرج لا به و يجلس علي مكتبه الذي تكوم عليه ما لا تراه عين ولا يخطر علي قلب أحد من الكتب تارة و الملابس و علب السجائر و غيرها من زجاجات للبريل و أخريات .يجلس و يفتح

اللاب و يشغل أغانيه، و تلك المرة للشيطانة الهادئة lana del rey، فمود أحمد يطلبها كثيرًا في تلك الحالة .أحمد ليس من هواة الفيس بوك كثيرًا، و ما يحمله من أمراض اجتماعية لا يأبه بها؛ فهو يستخدمه إما ليكلم والده أو عندما يكون تليفون أصدقاءهمغلقًا فيحدثهم علي الفيس .يدخل أحمد الاسم و كلمة السر و يبدأ البحث عن الاسم، حتي يظهر أمامه ليستة من الأسماء، حتي يجد اسمها يضئ كلؤلؤةٍ في اخر القائمة Alaa Mahmoud El-fanagiely.يدخل أحمد إلي حسابها متجاهلا النوتيفيكاشن و الرسائل التي تعلن ترحيبها بعودته إلي الفيس، لا يهتم و يدخل إلي حسابها ليعرف عنها بعض المعلومات و إن كانت قليلة . يري بعض الصور الخاصة بها، يتفحصها سريعًا، و يري أنها كانت تعيش بالقاهرة .يعرف ماذا تحب و ماذا تكره، و اتقانها للانجليزية و الفرنسية .و أخذ ما يكفيه لاسعاد يومه و سجل خروج، و انتظر حتي أغلق اللاب نوره و استماعه ل lana . ليخرج نوتته كاتبًا "أصرت بشريًا يحس و يشعر مثلكم؟ لا أدري كيف أتحول تدريجيًا كتحول القديسة إلي عاهرة ؟ أري سواد العيون قد طغي علي عيني و أكسبها بريقًا جديدًا .لا أريد، ولكن عقلي يريد .إرادتي مسلوبة و عقلي من يتحكم بي، إلا هذه المرة التي تحرر فيها قلبي و لأول مرة أعلن عصاينه و تمرده علي عقلي . لكني أخاف مخافة الراعي من الذئاب أن أكون أسيرًا لقلبي، فلطالما كرهته .و لكنه الآن يذلني بمشاعره .أنقذيني أيتها الزبانية .فلقد عشت مرتاحًا بينكم، فلا تسلبوني مكاني المعتاد "و يغلقها أحمد و يسرح في نومه بعيدًا إلي نجوم كوكب الزهرة،محلقًا بخياله إلي المالانهاية، إلي الفراغ الأسود، إلي عمق جراحه، إلي الموت بمتعته و لذته التي لا يضاهيها شئ .فالموت راحة سرمدية لا يغني عنها أي لذة دنياوية .و في اليوم التالي، يستيقظ أحمد علي صداعه المعتاد الذي يكاد أن يصل به إلي حافة الهاوية، و لا يدري إلي متي سيرافقه هذا الصداع، فهو معه منذ الحادثة . يتحامل أحمد علي نفسه و يذهب هذه المرة إلي المطبخ، ليخرج كيس البن الذي قد عفا عليه الزمن، ولكن البن مثل الخمر يزداد لذة بتقدم الوقت .يقوم أحمد لصب كوب من القهوة حتي يزيح عنه هذا الصداع و ينتظر غليان القهوة ليظفر بها في النهاية و كأنها جائزة اراب أيدول .يتجه

إلي الصالة، و منها إلي الحمام ليأخذ دشًا باردًا يعيد الحيوية إلي جسده .يفتح التلفاز، و تقع عينيه بالصدفة علي خبر نتيجة تنسيق الثانوية العامة بعد غد الأحد .ينسي أحمد أن اليوم كان الجمعة، فالشوارع هادئةٌ إلا من بعض الأطفال، و كذلك أصوات البوابين عند كل عمارة يتسابقون في طرد الأطفال هؤلاء من أمام عمائرهم .يسير اليوم برتابة، فأحمد بالرغم من حالة النشوة التي وصل إليها أمسا، إلا أنه لا يريد أن يقوم بأي شئ .و في هذه الحالة، يقوم أحمد بإغلاق موبايله و الابتعاد عن كل ما يمت إلي العالم الخارجي بصلة .يعيش بمفرده في عزلةٍ تامةٍ، ويعتقد موهومًا أنه يتحكم في تلك العزلة، كما يتحكم في غلق وفتح صنبور مياه . يرى وجود الناس عامة سرقة لوجوده الشخصي، لهذا جعل محبتهم له تتحول إلى عدائية بإرادة مشروطة بتحكمه في عزلته، محبتهم تجعله ليس في الحدة التي يريدها لنفسه، ليس في التوقد الذي يأمله، محبة تجبره أن يكون اجتماعيًا يحمل شيئا من المسئولية، وهو لا يريد غير مسؤولية نفسه، لا يريد غير فعله الخاص، الفعل الذي لا يفيد أحدًا، ولا يشعر به أحد، ولا حتى هو نفسه الذي أطلقه في لحظة لا يعرف كيف يستعيدها لأنها لحظة، لا تحمل علامة، فهي مثل لحظات وجوده كلها .يقضي اليوم أمام التلفاز تارةً و استماع إلي الأغاني تارةً و إلي استنشاق عبق الفودكا الروسي تارة أخري.و هكذا مرت الأيام علي أحمد. لا يريد أن يحدث أحدا أو يتواصل مع أحد، حتي أصدقاءه .يأتي يوم الأحد و تأتي معه أمه إلي المنزل حتي تري ماذا فعل ابنها في نتيجة التنسيق، فهي تعلم أن ابنها له مستوي ذكاءٍخارقٍ للعادة، و لذلك فهي مطمئنة .فأحمد قد انصفها و افرحها و حصل علي مجموعٍ يمكنه من دخول كلية تتفاخر بها أمام الناس .أما أحمد فهو غير مهتم بالنتيجة علي الاطلاق، ولا يعلم ماذا يخبئ له القدر، ولا يدري إلي أين تذهب به الدنيا؛ فهو استسلم لها ولا يريد منها سوي أن تتركه إلي حاله .دخلت الأم في حوارٍ مع ابنها في محاولةٍ منها لتهدئة أعصابها . فبالرغم من اطمئنانها علي مستقبل أحمد، إلا أنها مثل أي أم تريد أن تتفاخر بكلية ابنها أمام الناس: ها يا أبو حميد نفسك في كلية ايه.

اللي يجيبه ربنا كويس يا ماما.

طبعًا يا حبيبي و نعم بالله .بس برضة أكيد ليك حلم يعني.

لا و الله يا ماما مش في دماغي حاجة خالص .

ليه يا احمد بس) .في نظرة حزن لابنها.(

ماتزعليش يا والدتي كل الي يجيبه ربنا كويس و انا راضي يعني.

ماشي يا حبيبي خش اللي نفسك فيه و اللي انت عايزة إن شاء الله ربنا هيكتبه ليك إنت طيب و تستاهل.

شكرًا يا ماما.

هي النتيجة ظهرت .

آه من الساعة 3العصر، و كأن الساعة 3هذه أعادت الي أذهانه آلاء، و دعا الله أن يجمعهما في كلية واحدة .فأحمد علي استعداد أن يحول إلي الكلية التي بها حتي ينعم بالنظر إليها و إلي وجهها الذي غلب وجه أفروديت إله الجمال عند قدماء الاغريق .ولا أبالغ إن قلت أنها قد تفوقت عليها فهي godesلو كانت موجودة وقت الاغريق لعبدوها .ولا أنكر أن أفروديت هي آلاء ولكن النسخة القديمة منها .يتذكر أحمد عم سعيد البواب، و الحيرة و الأسئلة تلتهم عقله التهامًا .يريد أن يعلم إلي أين سيكون مصيره، فهو ربط مصيره بمصير آلاء، لا يعلم كيف وصل به حاله إلي هذا الكم من الحب و هو من لم يؤمن بالحب مطلقًا .فقد كفر بالحب منذ أمدٍ طويلٍ .و لكنه الآن أصبح من المؤمنين بدين الحب .يخبر أحمد والدته بأنه سوف ينزل إلي الشارع حتي يشتري بعض الأشياء، فتومئ له برأسها بالموافقة ليرتدي ما يقابله في طريقه و يتجة إلي يسار عمارته إلي عم سعيد .

عم سعيد ازيك يا راجل يا طيب.

أحمد بيه و الله كنت لسه هعدي علي البواب اللي عندكم علي عشان اسأله عليك.

ليه خير إن شاء الله .

لا من ناحية خيرفدا خير أوي يا بيه عندي ليك اخبار تستاهل الحلاوة.

يتلهف أحمد و تظهر في عينيه نظرة رجاء لعم سعيد حتي يخبره، و لكن بذكاء ثعلب يخفي تلك النظرة و يقول لعم سعيد .ايه ياعم سعيد طمني أنا شايف في هوجة عندك و زغاريط.

عقبال عندك الاستاذة آلاء جالها كلية صيدله المنصورة.

يصمت أحمد في تحدي للجاذبية التي ألمت به و بعقله .يتنفس ببطئ حتي أحس بأن الحياة تتسرب من فجوتي أنفه، لا يعلم لماذا؟ أهو اقتراب حلمه من أن يري آلاء كل يوم و لمدة 5 سنوات أم خوفه من الارتباط و التعلق بها أكثر؟

أخبارك حلوة زيك يا عم سعيد امسك.

يعطي أحمد لعم سعيد 10جنيهات .يرفض عم سعيد و يحلف أيمانًامغلظةً و يقول له :و الله ما واخدها، علي الطلاق أنا هاخد منك لما اعرف كليتك يا أبوحميد يا غالي.

ماشي يا عم سعيد نهارك فل ياراجل يا طيب.

يعود أحمد هائمًا لا يدري ماذا يفعل، يدخل إلي البيت و تقابله أمه :مبروك يا حبيبي.

مبروك علي ايه يا ماما.

أنا شفت لك النتيجة الحمد لله يارب الحمد لله .

و كأن أحمد نزل عليه صاعقة من السماء، كأنها إعصار استوائي يضرب الساحل الشرقي لأمريكا. أحس بأن أركانه قد تزلزلت عندما استمع إلي أمه، فهو من داخله يتمني أن يكون مع آلاء في نفس الكلية، و من ناحيةٍ أخري يهاب أن يتعلق بها، فهو لم يتقرب منها حتي، ولا حتي هي تعلم عنه شئ .طمنيني.

و في لحظة زادت دقات قلب أحمد كطبل افريقي منتظم يتزايد حتي أحس أنه لا يسمع أي شئ حوله سوي هذا الصوت.

الحمد لله يا حبيبي جالك صيدلة المنصورة.

صمت رهيب يخيم علي المشهد .تخيل أحمد نفسه فارس روماني حكم عليه بالاعدام للخيانة العظمي .لا يدري ماذا يجب أن تكون ردة فعله أمام هذا الخبر . تلقي أحمد الخبر في معانقة لوالدته و هو يردد الحمد الحمد لله. مبروك ليكي انتي كمان يا ماما عقبال ما اقدر أفرحك علي طول.

يدمع أحمد بقليل من الدموع الساخنة التي أصبح يستغرب وجودها في حياته .ماذا تفعل به تلك الشيطانة الصغيرة؟ لماذا يا ربي خلقتها؟ لماذا أتيت بها إلي جانبي؟ فأنا كنت في غيبوبتي الاختيارية، سعيدًامنتشيًا .لماذا هي أتت لتغير كل شئ؟ يفيق أحمد و يخرج موبايله و يرجعه إلي وضع العام ليجد كمًاهائلًا من الرسائل و الاتصالات التي لم يجيب عنها، و لم تفت ثواني، حتي يجد رقم محمود علي الشاشة ":الو إيه ياعم المكتئب قافل موبايلك ليه قلقتنا عليك يا عم.

ايه يلا مانت متعود يعني إني بقفله باليومين.

المهم فكك ألف مبروك أنا عرفت إن جالك صيدلة المنصورة.يابن الدحيحة ألف مبروك يا صاحبي.

الله يبارك فيك و انت جالك ايه يا فاشل.

أنا جالي تجارة انجلش ياعم الحمد لله و أبويا فرحان أوي عشان هبقي أساعده في شغله .لازم نتقابل النهاردة .كلم حسام ضروري عشان مختفي زيك كدة من يومين و مش عارف أوصله .
ماشي هبقي أكلمك و اقفل عشان أبويا علي الوايت .

أوك يا معلم .سلام.

يرد أحمد علي والده و المشاعر مختلطة عليه لا يدري ماذا يفعل.

ايوا يا بابا.

ازيك يا دكتور.

الحمد لله إنت أخبارك إيه.

أنا الحمد لله يا حبيبي جايلك يوم الخميس عشان واحشني أوي.

تيجي بالسلامة يا بابا.

الله يسلمك يا حبيبي عايز حاجة من هنا.

لا شكرًا.

سلام يا حبيبي.

سلام.

يتصل أحمد بحسام ليرد عليه .ايه يابني فينك .

ايه ياعم احمد إنت اللي مختفي أنا موجود أهو .مبروك يا صاحبي الواد محمود لسة قافل معايا أهو.

الله يبارك فيك انت جالك ايه؟

زيك صيدلة.

بتتكلم بجد.

و الله يا حبي معاك و هقرفك .

حبيبي و الله أنا كدة اتبسط .تعرف إن الحورية جالها صيدلة؟

اقسم بالله .أيوا بقي يا عم ألف مبروك.

الله يبارك فيك هننزل النهاردة بقي عشان نحتفل و الواد نادر هكلمة اشطة.

اشطة 8علي الكافية الي قدام مارشال عارفة.

اه.

خلاص بقي تمام.

تمام .

يتصل بنادر :ألو يا عمي .

أحمد ابن الناس الكويسين فينك ياعم بتصل بيك اليومين اللي فاتو قافل موبايلك.

انت عارف بقي صاحبك .

عارفه.

المهم النهاردة نازلين علي الكافيه الي قدام مارشال.

أنا في الساحل يا صاحبي مع حكاية كده لما أرجع هرسيك علي الحوار كله.

ماشي يا ريس عيش.

حبيبي يلا سلام دلوقتي.

سلام.

يغلق أحمد الخط و يتجه إلي غرفته في محاولة منه إلي إعطاء نفسه فرصة للتفكير، و أخد عهدًا علي نفسهبأنه لن يحاول أن يراها إلا عند دخوله الجامعة. و لم يعد هناك كثيرًا من الوقت؛ فالجامعة ستبدأ في خلال أيام سيغتنمها أحمد في التفكير حتي لا يتخذ قرارات سريعة خاطئة. تأتي الساعة الثامنة و كالعادة يخرج أحمد مع أصدقائه و جلسات السمرو الدخان. يعود إلي المنزل، و تسير الأيام برتابةٍ و روتينٍ، لا يوجد بها الكثير، ولا يوجد تغير سوي في أماكن التجمع.أما في النادي الذي كان يحب أن يتجمع فيه محمود لوجود الكثير من الهيروين الخاص به: البنات. و بهدوء مايسبق العاصفة، تأتي العاصفة، و تبدأ الجامعة .بالنسبة لأحمد لا يفرق الكثير عنده الجامعة من الثانوي،فأحمد يفهم حياته، و يحاول أن يعيشها بكل ماتأتيه من قوة، بعكس الكثير من طلاب الثانوية الذين يدخلون الجامعة معتقدين في الانفتاح اللا محدود، و أنهم

يدخلون سوق عكاظ لشراء الجواري: فيعتقد كل منهم أنهم سوف يدخلون ليجدوا البنات ترحب بهم كبنات تشجيع الفرق الأمريكية بالورود. يدخل أحمدالجامعة و في داخله أمنيته الضائعة: عازفة أوتار قلبه، مسيحه الذي يمشي علي الماء و الذي يحي الموتي)آلاء.(يدخل أحمد في حياة يحسبها البعض جديدة ولكنها عادية. فبالرغم من الاختلاف الذي يشعر به قليلًا،إلا أنه و من أول يوم كون لنفسه شخصية قائدة هو و حسام بين أصحابه و تكوين مايعرف ب الشلة.فأحمد و حسام عرفوا من أول أيام الكلية، و لما لا؟ فوجودهم بين الكافيهات و الأندية أعطاهمسمعةً يحلم بها كل طالب جديد. الكل يهاب أحمد، لا يتحدث معه إلا في أضيق الحدود نظرًا لمنظره المختلف:الأوشامو الاستايل الخاص به. و لكن حسام كان يحاول تقريب الجميع له،إلا واحدًا فقط كان من الذين يرون أحمد مسخًا و لا يحبه .إنه مازن. هو شخصية غريبة له في صولات البنات كفارس من العصور الوسطي، ممتلئ الجسد بعض الشئ،إلا أن جسمه متناسق. ملابسهفخمةٌجدًا من أرقي الماركات. و قد كون لنفسهداخل الكلية شلةمن البنات التي كان يعرفها من خارج الكلية.فكندائمًا ما يسألونه علي أحمد سيف الدين، و هو كان يذم فيه و يتفنن في إخراج القصص و الحكايات المغلوطة، و وصل الحال بينهم إلي حافة الشجار عندما علم أحمد أن مازن حاول أن ينسج خيوطه العنكبوتية حول آلاء. و إذا بأحمد يذهب إلي مازن و يلقنه درسًالن ينساه نظرًا للكمة الخطافية التي أسداها أحمد له فأسقطته أرضًا. و لكن تدخل حسام في الوقت المناسب، و أحست آلاء في ذلك الوقت بوجود أحمد.فآلاء كانت بعيدةً كل البعد عن الدفعة، و ليس لها أصدقاء كثر. يراها لا تتكلم البته، و من الكليةإلي المنزل و من المنزل إلي الكلية، لا تعبئ بمن حولها من الصبية الذين يريدون منها و لو نظرة يتفاخرون بها أمام أصدقائهم، ولما لا؟ فهي كانت مثل نبيلةمن نبلاء العصور الوسطي، ملكة متوجة علي عرش تلك الدفعة، لا يقترب منها أحد. و إن اقترب كانت له بالمرصاد.إلا أن نظرات أحمد لها في المحاضرات جعلته يتيمبتلك الإنسانة التي لا تحمل من صفات الإنسانية إلا الاسم فقط. فكيف يقنع هذه بحبه؟ و تدور الأيام، و يتبعها أحمد كل خميس في خروجاتها مع أخواتها، حتي لاحظت وجودة مرة. و في

يوم خرجت فيه الشمس من المغرب أوقفت آلاء أحمد في الكلية طالبةً منه محاضرةً حتي يشرحها لها و دار حوارٌبسيطٌ لا يتعدي سوي كلمات تحسب علي أصابع اليد الواحدة.

السلام عليكم .

ينتفض أحمد عند رؤيته لها و هي تكلمه و كأن عقرب من عقارب تكساس قد لدغه.

و عليكم السلام تحت أمرك.

لو سمحت حضرتك أحمد سيف الدين معانا في الدفعة.

و في هيام يجيب أحمد و هو مرتجفًا في لحظة غريبة لأول مرة يشعر بها في حياته.

أيوا أنا أحمد سيف الدين.

لو سمحت كنت محتاجة من حضرتك محاضرة د/محمد الأسيوطي اللي فاتت.

أوك لحظة واحدة .

علي حظه تكون أول محاضرة يكتبها أحمد في حياته هي المحاضرة التي تطلبها آلاء.

اتفضلي .

أوك شكرًا جدًا هصورها و هرجعها لحضرتك تاني.

الاسكيتش بتاعك أنا مش هاخدة تاني.

لا ماينفعش ماقدرش أخده.

و أنا مش هاقدر أخده تاني آسف.

يضحك أحمد بابتسامة خفيفة و يتركها و يرحل. و عندما أدار ظهرهإليها ضحكت هي الأخري. و افترقا الاثنان كل منهم يحمل للآخر شيئًا من الحب و الرهبة. لم ينم أحمد سيف الدين ذلك اليوم تفكيرًا في كل تفصيلة في وجهها: عيناها، وجنتيها، شفاهها . فهي دولة لا يستطيع أن يتقرب منها أحدًاإلا وأبادته، إلا أحمد الذي تقرب بعض الشئ من حدودها حتي ظل يسمع الكلمات التي كانت تخرج من فمها،إلي أن غاص في النوم .....

****

الفصل الرابع :

الاكتشاف

أصبحت الأيام بها شئ من الرغبة في إرباك حياةأحمد، بعدما كانت هادئةً هدوء البحر الميت،و لكنها أبت أن تستمر هكذا. تمر الأيام بأحمد في الجامعة، و هو في نشوةٍ غلبت نشوة مضاجعة امرأة فرنسية. يري آلاء تقريبًا يوميًا و يدور بينهم حوار ولكن بلغتهم الخاصة : لغة العيون . كان أحمد لا يعلم لما لم يذهب إليها و يطلقها في وجهها أنا أحبك؟ لماذا لم يفعل ذلك؟أهو إرضاء لكبريائه المبالغ فيه،أم أنه قد تعلق بها لدرجة أنه لا يريد أن يخسرها عندما يصارحها بحبه لها؟و في تلك الأيام زادت أوشام أحمد وشمين: فقد وشم علي ساقه اليمني جناح لملاك و علي قدمه اليسري جناح لشيطان، جائته الفكرة من حبه لها. يقف أحمد مفكرًاأمام مرآةالحمام، يضرب نفسهقلمًاحتي يتأكد من نفسه. و في لحظات من لحظات المصارحة مع النفس يقول أحمد " حب .ايه دا أنا بحب !أنا اتنيلت و حبيت! مين دي عشان تحرك قلبي؟مانا كنت قاعد بعيد عن الدنيا و في حالي كافي خيرها شرها! جه الوقت اللي اقعد أفكر فيهإني بحب! و اقعد أفكر فيها! ليه كل دا؟ ليه الحب اتخلق أصلًا؟عشان يعذب اللي بيحبوا ولا عشان يبينا ضعاف قدام نفسنا؟ فوق يابن سيف إنت كدة عايز تعمل اللي عمله أبوك تحب و تتجوز و تخلف و تضطر تسافر عشان تجيب لمراتك و ولادك الفلوس و مايبقاش حد جنبك! و علاقتك كده كده هتدهور مع مراتك لاهي هتحس بيك ولا هتحس بيها و تبقي الوحدة هي كلمة السر! يبقي ليه من الأول؟

يمكن عشان كنت محتاج تحس بالشعور د؟ عشان تحس إنكفعلًا عايش؟ هو الواد محمود أو حسام أو حتي نادر حسوا بالحب قبل كدة؟ ياتري هما عايشين ازاي؟بيتعاملو مع الحب بأنهي طريقة؟ طريقة محمود و نادراللي كل همهم جسم البنت! ولا حسام اللي بيحاول يعوض نقص الاهتمام بيه بإنه يحب؟ و ياتري دا حب فعلًاولا مصالح متبادلة؟ يا رب أول مرة بدعيك و أنا عارف إني بعيد عنك! يمكن الشيطان أقرب ليك مني! علي الأقل هو كان ملاك و اتحول عشان يبقي شيطان بس أنا اتولدت شيطان! خرجني من الضيقة دي وجهني ." و في تلك اللحظات يشعر أحمد برفيق دربهالذي لم يتنازل يوم عن زيارته: الصداع النصفي الذي كاد أن يزهق روح أحمد. تتوارد الخواطر و المشاهد أمام أحمد حتي شعر بدوار غريب يحدث له . للمرة الأولي لا يستطيع تمييز الأشياء من حوله. يتحسس مقبض باب الحمام حتي يخرج منه، و لكنه في طريقهإلي السقوط البعيد،إلي نقطة اللارجوع،إلي حواف الهاوية. يتمالك أحمد نفسهفي مقاومة منه لنفسه. يعارضها، يحاربها كمصارع ثيرانأسباني ينتصر عليه أحمد، حتي يخرج من الحمام، و العرق يكاد يكسوه كعرق يوم القيامة عندما تقترب الشمس من الرؤوس. يقف في وسط الصالة و هو لا يستطيع أن يخرج سوي حشرجات تتداخل أصواتها مع أصوات دقاتقلبه غير المنتظمة. و فجأة يصرخ أحمد صرخةًأحس بأن روحه تكاد أن تتمزق، صرخةًإن سمعها أهل النار لاشفقوا عليه من شدتها،صرخةً تنم عن كل ما يخلج من صدره الانتقام من نفسه. الدماء التي رآها يوم الحادثة تخرج من قدمه و رأسه الكره للعالم الخارجي. و ما به صرخة تكاد أن تكسر ما حوله من زجاج المنزل لا يقاوم، يعطيها تصريح الخروج دون عوائق دون قيود. انطلقي حتي تُخرجي روحي معك،فأنا لست بحاجة إليها الآن .و في تدرجٍ غريبٍ،يشعر أحمد باكتساء الجو العام بالأسود.يغمضعينيه تدريجيًا.الألمينخر في رأس أحمد و كأنه السوس الذي أكل عصا سليمان. و كأنه بريمة بترول تبحث بلا هواده في جانب رأسه الأيمن، في محاولةٍ منها لاخراج بعض الذهب الأسود. يسقط في بئر النسيانبعيدًاإليعمق الأرض،إلي نواة هذا الكوكب العفن الذي عفت عليه السنوات و العقود و مازال ينبض بالفساد .يسقط أحمد مغشيًا عليه .تمر الساعات و أحمد في

غيبوبته لا يعلم به أحد ولا يشعر به كائنٌخُلق علي وجه الأرض .يفيق أحمد علي رنة موبايله المزعجة، ليجد رقم نادرعلي الشاشة يلح حتي يجيب عليه و لكنه لا يستطيع. حتي أن فتح عينه، و تنرلق يده كلما حاول التقاط موبايله حتي توقفت الاتصالات، و صمت خيم الهدوء المخيف علي المكان .الظلام يغطي جنابات الشقة حتي أغشي علي أحمد للمرة الثانية. و لكنه هذه المرة أفاق علي دقات قوية علي الباب تطالبه بفتح الباب .و لكن قوي أحمد لا تستطيعأن تؤذي ذبابة بها.أخذ يترنح في محاولة للوقوف حتي وصل إلي مقبض الباب بعناء شديد. فتح الباب حتي يجد نادر يتلهف علي حمله، و خرت قوي أحمد علي أيدي نادر فحمله، و أراحه علي سريره. ذهب نادر إلي المطبخ ليعد له كوب قهوة حتي يفيق. و بالفعل كذلك حاولأنيجعله يشرب القهوة. وبعد محاولات مستميتة، شرب أحمد القهوة و بدأ في استرداد الوعي. و بسرعة سبقت سرعة البرق، نزل نادرإلي الصيدلية المجاورة لمنزل أحمد ليجد أي شئ يساعد صديقهعلي الافاقة. وصف له الطبيب بعض الأدوية، و قال له إن لم يذهب الصداع، لابد أن يأتي إليه حتي يعلم تشخيصه. و بالفعل ذهب نادر إلي أحمد، و أعطي له بعض الأقراص و بعض أدوية الشراب حتي تجعله يفيق. و بالفعل بدأ أحمد بالإفاقة، و لكن ضيفه الثقيل لا ينفك . ينقر في طرقات جانب رأسه الأيمن.

ايه يابني خضيتني عليك ياعم.

أنا تعبان أوي يا نادر.

ايه يابني سلامتك ايه الي حصل .

الصداع بتاع كل مرة .

يابني حرام عليك نفسك، روح اكشف عشان مايزيدش عليك. ايه الي حصل المرة دي .

كنت في الحمام و فجأة جالي . حسيت المرة دي إني هموت عقبال ماعرفت أخرج من الحمام .

قعدت أصرخ لغاية ما أغمي عليا من الألم و فوقت علي مكالمتك، و بعديها أغمي عليا تاني .

أنا قلقت لما أعدت أرن عليك و إنت مش بترد قولت دي مش عوايده. لما رنيت عليك ييجي 4 مرات و يدي جرس بس، قلت لا لازم أجيلك . الحمد لله يا أبوحميد قوم معايا نشم شوية هوا.

يتحامل أحمد علي كتفي نادر ليخرجا الي الشرفة .و في محاولة من نادر لإخراج أحمد من هذا المزاج السئ قام بإلقاء بعض النكات السافلة التي يعلم أن أحمد يحبها . ضحك أحمد و بدأ في استعادة وعيه بالكامل ".فوق كدة يا حبي إنت عامل ايه في الدراسة أنا عارف إنك برغم إنك مضيع بس شاطر."

ياعم أنا بعمل اللي عليا أذاكرلي ساعتين ولا حاجة و باقي اليوم انتخه، و الصداع دا مبوظ عليا حياتي مش عارف أعمل معاه ايه. حشيش و بشرب و خمرة و بشرب اعمل ايه عشان يروح .

الصداع مش هيروح بالخمرة و الحشيش. و بعدين أنا عايزك تجيلي حاسبات تقعد معايا يوم هناك كدهالعيال عندي ماعندهمش غير سيرتك.

ايه ده انت يابني مش قلتلي إنك هتألش السنادي و مش هتخش الجامعة .

أألش ايه يابني أنا ناقص!أبويا يوديني في داهية و بعدين أنا ماشفتكش من أول الدراسة كنت في الساحل مش أنا مكلمك.

يشعر أحمد بنبض خفيف يعود إلي رأسه.

اه صحيح معلش.

ينظر نادر إلي أحمد و يكمل حديثه.

عايز أشوفك مبسوط يا أبوحميد حالك مش عاجبني ماتهملش في نفسك لو ليا عندك خاطر.

حاضر و الله يا نادر .أبويا أجل رجوعه لمصر و برضه مش عارف أشوفه و مش عايز . بيني و بينك يعني.

يا عم حاول تظبط علاقتك بيه شوية عشان مايحصلكش زيي.أنا أهو كل يوم شكلة معأبويا لحد ما هسيب له البيت و هطفش. وأمي زي مانت عارف غلبانة و في حالها و بتحبني . فكك يا أحمد و كلمه هيفرح أوي.

إن شاء الله.

أسيبك بقي و لا عايزني معاك.

لا يا معلم أنا هبقي كويس روح عشان أبوك مايقفش عليك.

ماشي يا رفيق كلمني بكرة اشطة.

اشطة سلام.

يخرج نادر من المنزل و يترك نادر إلي نومه في صراع قبرصي تركي علي أحد جزر.عَقِلَأحمد و استسلم للمرة الأولي للنوم. يذهب اليوم الذي يليه إلي الكلية ليجد كل من حسام و محمود ينتظراه عند كلية صيدلة.

ايه يابني اللي حصلك إمبارح؟ الواد نادر كلمنا و قلقنا عليك! مش قلنلك تبطل و تهدي اللعب شوية! مايبقاش حشيش و خمرة إنت ناقص .

ولا انت و هو مش نقصاكم خالص!أنا علي أخري و دماغي وجعاني و مش قادر و عندي محاضرات مهمة النهاردة.

ماشي يا بوبأنا هروح عند تجارة عشان في واحدة مستنياني.

تمام.

يجد أحمد حسام ينظر إليه في شفقة.

ايه يا بني اللي انت فيه دة! هايبقي البت و دماغك كمان أنت ناقص! و يلا احنا عندنا سيكشن عملي و هحضر معاك. يلا عشان ماسيبكاش لواحدك.

ماشي يلا بينا.

يذهبا، و يدور أحمد برأسه يمينًا و يسارًا حتي ينفض النبض المزعج في جانبه الأيمن. يدخلا إلي المعمل برائحته المعهودة و البلاطي البيضاء التي تكاد أن تضئ من شدة بياضها. يقف الاثنانإلي جانب أحدهما الآخر.و لحسن حظه، يجد أحمد آلاء في مقابلته علي الطرف الاخر من البنش. ينسي أحمد المحاضرة و الدكتور، و كل مايمت لعالمنا بصلة. ليذهب معهاإلي بلادها

التي يذوب بها عشقًا. ساحرة تجذبه إليها بسحرٍمحمودٍ . يزيد لهيب أحمد اشتعالًا كموقدٍ للنار في فيلا أحد الأثرياء. و في وسط كل هذا أحس بنبضات رأسه تتزايد و تتزايد. يرحب بالضيف الثقيل: الصداع، ولا يستطيع أن يتمالك نفسه ليخر واقعًاأمام السيكشنو الدكتور مغشيًا عليه. يشعر بالأيادي و هي تحمله. كان آخر وجه يراه هو وجه آلاء في لهفةٍ منها عليه. يسمع صوت حسام في محاولةٍ لافاقته،ليجد نفسه في منزل ذو شرفةٍ واسعةٍ وسط المروج الخضراء الواسعة. و إلي جانب المنزل بركة ماء زرقاء زرقة السماء، و هادئة هدوء السحب، لا تتحرك. يجلس أحمد برزانة و استرخاء و هدوء غلب هدوء أعصاب جراح بريطاني انتهي من عملية لزرع قلب. يري آلاء أمامه، وهي تحمل طفلًاجميلًا و كأنه وُلد له هذا الطفل. و لكن الغريب أن أحمد وجد نفسه ينادي عليها باسم غير اسمها، لا يعلم لماذا؟ و مرة واحدة يفيق أحمد في منزله الذي تعود عليه ليجد أمه و نادر و حسام و محمود يجلسان إلي جانبه.

قالتوالدته و قد ظهر عليها اثر الذعر حتي كونت مجري خاص بها علي وجنتيها :أحمد حبيبي إيه اللي حصل يا بابا قلقتني عليك.

أنا فين.

نادر :إنت في البيت يا معلم حمد لله علي السلامة.

أنا جيت إزاي هنا.

حسام :أنا و صحابك وصلناك بعربية مازن اللي معاك في صيدلة لحد البيت. الواد طلع جدع و ماسابكش إلا لما حطناك في السرير. يشكر الراجل.

محمود:طب نسيبك بقي دلوقت عشان ترتاح. و لازم تشوف دكتور ياحمد ماتسيبش نفسك كده .

انهي محمودالتجمع و ترك أحمد و والدته يتناقشون.

أحمد لازم تشوف دكتور بابا اتصل و كان زعلان أوي و مضايق أنه مش عارف يشوفك .

ماما اللي بيني و بين بابا انتهي من ساعة اللي حصل لا عايزه يهتم لأمري ولا أنا محتاج أهتم بيه خلي فلوس الخليج تنفعه لما أنا اضيع.

تذرف والدة أحمد المزيد من الدموع و هي تنظر إلي ابنها الوحيد : طب يا حبيبي نروح نشوف دكتور بكرة ان شاء الله عشان خاطري.

حاضر يا ماما حاضر هنشوف دكتور حددي ميعاد و نروح ليه.

تفاجئه والدته و تقول :أنا خلاص حددت ميعاد مع الدكتور و هنروح ليه بكرة بليل.

خلاص يا ماما بكرة بليل.

و لحد بكرة مفيش حركة ومش هتنزل من السرير و هتاخد الدوا ده لحد مانروح ماشي.

استجابلأوامرها حيث سئم أحمد منمخالفة الأوامر و امتثل لها هذه المرة في عدم مقاومة منه حتي لا تزيد آلامه . فالدق علي طبول رأسه أصبح يزعجه، حتي أنه بدأ يؤثر علي رؤيته، بل جعله ولأول مرة في حياته يحلم.أخذ يفكر طويلًا في هذا الحلم، حتي ارتسمت ابتسامة علي شفتيه. و لكن سرعان ماتبخرت. فهو سعيد لأنه أول ما حلم حلم بآلاء. و لكن لماذا كان يناديها باسم آخر في الحلم؟ و ما هذا المكان الذي كانا يجلسان فيه؟ فهو أجمل من أي يكون حقيقي .ماذا يعني كل هذا؟ و هل له مدلول أم هو أضغاثأحلام؟آه و آه من وجع رأسي هذا. و آه و آه من وجع قلبي. و ماذاأفعل؟ لقد رأتني اليوم و أنا ضعيف! لماذا يا الله؟ لقد دعوتك أن ترشدني إلي الطريق الصحيح، فلماذا جعلتني أظهر أمامها بوجه ضعيف؟ و لماذا جعلت شخصًا مثل مازن أن يراني في تلك الوضعية؟تبًا لسخرية القدر!تبًا لها !إنهاتجعلني اشمئز من هذا العالم و ممن يعيشون به. و زفر نفسًاأحس أنه يخرج به روحه من جسده. التقط علبة السجائر ليلتقط منها واحدة حتي يحكم عليها بالاعدام حرقًا ليخفف وجع رأسه قليلًا، أنهاها حتي لا تراها أمه. و بعدها عقد معاهدة مع النوم بعد شرابه لحبة منوم قد أرغمته أمه أن يشربها حتي لا يشعر بالألم. ها هو يغط في النوم كطفل في الثانية من عمرهلينام بين أحضان أمه في أمان. غط في نومه غير مبالي بشئ سوي أنامل والدته التي تعطيه جرعة من الحنان و الحب كافية أن تكفي أهل الأرض مائة عام. يحلم بنفس حلمه السابق، ولكن الاختلاف الآن في وجود آلاء تقترب منه شيئًافشيئًا .و أحمد يضحك راضيًا بما منحهالقدر من أجمل ملائكته في عالم البشر. و مانفكت أن تقترب حتي أخذ ينادي

عليها باسم آخر، و هي تحمل طفل رضيع غلب جماله لوحة من لوحات دافينشي. استيقظ أحمد فجأة ليجد أمه تجلس إلي جواره و قد غلبها النعاس. وفي صوت متهدج تقطعت به الأوصال قال لأمه . ماما ....ماما.

أيوة يا احمد عايز حاجة.

لا قومي نامي جوة الفجر مش فاضل عليه إلا كام ساعة.

فجر!! فجر ايه يا حبيبي احنا الضهر.

الضهر ازاي أنا نمت كل ده.

اه من تعبك يا حبيبي . يلا خليك في السرير لحد ميعاد الدكتور الساعة .6

يستلقي أحمد علي السرير لينفض نفسه بعد أن ذهبت والدته لتحضير الطعام، و نبضات رأسه تختلس النقر في رأسه بمطرقةٍ من حديدٍ جس، و كأنه صنع في النار خصيصًا لتعذيب أحمد. تناول أحمد اللاب الخاص به، و بدأ في تشغيله، حتي ظهرت علامةأنهمِلكلأحمد يفعل به ما يشاء. و ما أن شغله حتي أعد playlistمن الأغاني العربية المنتقاة انتقاة الأم لعروسة ابنها : بعض من أغاني ال bandsو المطربين و المطربات الذي يطلق عليها underground .هو نوع من الفن الراقي الذي لا يسمعه إلا صاحب الذوق الرفيع، فتجد فيه rapperال rockوحتي ال . metalأخذ يستمع إلي مايستمع إليه. و تمر الساعات متباطئًة بعض الشئ، سريعةً شئ آخر. حتي وجد أمه تناديهأن يجهز نفسه حتي يذهبا إلي الدكتور للكشف عليه. لم يعط أحمد للأمر اهتمام. و لم يكن يضع في حسبانه أن يكون شيئًاذا قيمة، حتي ارتدي ما يجد ارتدائهو خرج مع أمه و استقلا تاكسي، حيث لم يتسني لهم أن يصلحوا العربة القديمة لما تحويه من ذكرياتمؤلمةٍ للجميع. ركبا الاثنان و أخذا يدورا في شوارع المنصورة حتي وصلا إلي عيادة الدكتور. ليجد "يافطة"كُتب عليها ببضع كلمات من نورأبيض ناصع د/حامد الجبلي دكتوراة في جراحة المخ و الأعصاب و زميل جامعة كامبريدج و جامعة تورينو الكندية.أدلفا إلي الداخل، و انتظر أحمد دوره بعد الرتابة و الملل الذي يطغي علي عيادات الدكاترة عمومًا، بالإضافة إلي وجود

سكرتيرٍ قد غلبه الملل من شدة فراغه و مشاهدته للتلفاز، حتي سمع أحمد السكرتير ينادي:أحمد اتفضل جوة الدكتور منتظرك. دخل أحمد و والدته إلي غرفة الطبيب، غرفة هادئة نوعًا ما. يجلس الدكتور بنظارته التي يلقي حملها علي طرف أنفه و شعرة الأبيض الكثيف، و تنمقهملبسًا رغم سنه الذي جاوز الأربعين ببضع أعوام . وجد تابلوه خلف الدكتور لمنظر طبيعي لبعض الأحصنة، و إلي يساره يوجد ركن خاص بالكشف. جلسا -أحمد و والدته- و بدأ الدكتور في الحديث .

ازيك يا أحمد.

تمام الحمد لله.

ها بتشتكي من ايه يابطل؟؟

حاول الدكتور اختصار المسافات في الحوارالملل الذي يتبعه مع كل مريضنظرًا لشكل أحمد العام، فهو يدرك أنه شاب و ليس له القدرة علي تحمل مثل تلك التراهات التي يلقيها الدكاترة.

و الله يا دكتور الصداع دا ملازمني من حوالي 6أو 7سنين. كان صداع عادي جدًا زي أي حد مايجيله صداع و ياخد له حبيتين و يروح .لحد فترة قليلة بدأ يجيلي بشكل مستمر : يعتبر ملازمني لحد دلوقتي .ماكنتش بعرف أنام إلا لما أشرب له أي حاجة!أي حاجة تخليني أنام . بعدني عن مذاكرتي و عن حتي أصحابي . لحد أول امبارح كنت في الحمام و حسيت بالصداع دا في الناحية اليمين من راسي، و هو دايمًا نصفي لحد ما أغمي عليا.

في ذلك الوقت جحظت عينا والدة أحمد و كأنها تريد أن تقول لماذا لم تتصل بي.

ماردتش أزعج ماما عشان كانت عند تيتة، و لحسن الحظ واحد صاحبي كلمني و لما ماردتش عليه جالي علي البيت و قدرت أفوق للحظات و افتحله . شربني قهوة و جابلي دوا من الصيدلية، و راح الصداع تاني يوم في الجامعة.

قاطع الطبيب أحمد متسائلًا : الصداع يا احمد بيجيلك نصفي دايمًا في الناحية اليمين؟ ماجاش ليك كلي قبل كدة؟ و الصداع دا أثر علي رؤيتك شوية ولا لاء؟

رد أحمد لا ما جاليش كلي يا دكتور . و فعلًاأثر علي رؤيتي . دا حتي خلانيأحلم . و ضحك أحمد نصف ضحكة و أسرد : لحد تاني يوم لما روحت الجامعة، كان لسه النبض في دماغي كأن واحد شغال في منجم و قاعد يدق علي الناحية اليمين في دماغي . و لما كنت في السيكشن زاد ضغط الدق علي رأسي لحد ماخلاني يغمي عليا تاني.

طب يا ابوحميد إنت هتجيلي بكرة بعد ماتعملي شوية تحاليل كده و أشعة علي المخ ضروري بكرة و هستناك في نفس الميعاد . و أنا هسيب خبر للسكيرتير . قام أحمد و والدته من مجلسيهما و خرجا و الأسئلة تكاد أن تفتك برأس والدته . و فاجئته بعد أن ركبا تاكسي للعودة إلي المنزل : ليه ماقلتش إنك تعبت أول امبارح؟

مارضيتش أزعجك يا ماما.

تزعجني ايه !و بعدين إزاي تخبي عليا حاجة مهمة و خطيرة زي دي.

آسف يا ماما بس حسيت إنها مالهاش لازمة.

مالهاش لازمة !ماشي حسابنا بعدين.

وصلا إلي المنزل و الغضب يتملك والدته .و في نبرةٍغاضبًة قالت :حضر نفسك بكرة الصبح هنروح نعمل التحاليل و الأشعة عشان الميعاد .دي تحاليل مبدئية لحد مانعرف عندك ايه.

نظر إليها أحمد كأنه فهم لماذا هي غاضبة : حاضر يا أمي .

دخل إلي غرفته و أخرج نوتته التي لم يزرها منذ أن دخل إلي الكلية و تعرف علي آلاء ليكتب في إحدي صفحاتها"الألم، الغضب،الكره، الكفر، الإيمان، التذكر و النسيان، الحزن و الدموع، الكفن و الشموع، الكلمات، الصيحات، التعذب، السادية، الشارومية، تلاقي أنفس المرضي، عقلي، قلبي، الوجهة، تسطح المعالم، الأصدقاء، الخيانة، الظلم، الاعتقاد، المرح، النشوة،والغدر ."كلها تجتمع بداخلي ولا أجد لها مخرجًا .لم أعتقد يومًاأنني سوي .و لكن الآن

يتملكني المرض .آخر ما اعتقدت أنه له سلطان علي .لا أفتخر بعالمكم، وليس لي مكان بين جنباته .فمكاني قد حجز منذ آلاف السنوات .يغلق نوتته و يخرج لابه و يدخل إلي الفيس ليري وجه آلاء الذي يداعبه في كل وقت وحين .حتي يجد رسالةً في صندوق الرسائل .تسمرت عيناه عندما رأي الاسم .Alaa Mahmoud أخذ يقرأ الاسم و كأنه يرتل القرآن، و أخذ يفرك عينيه عندما رأي الاسم و تاريخ الارسال.إنه أمس !يوم أن أغشي عليه .وجد ماكتب كالتالي " السلام عليكم.ألف سلامة علي حضرتك ." انتهت الرسالة .تصنم أحمد و كأنه صنم من أصنام الكعبة التي عبدها قريش، و إن كان موجودًا وقتها لعبدوه مثلهم، فلا شئ يدل علي حياةأحمد سوي صوت أنفاسه .لم يستطع أحمد أن يفكر في ماذا يرد؟أو كيف يردأو حتي لماذا يرد؟ كل ما عليه هو أن سجل الخروج و جهز نفسه ليوم غد، الحافل بالكثير و الكثير .نام أحمد بعد إغلاقه للموبايل كعادةٍمقيتةٍ به تمني أن يتخلص منها، ليفيق اليوم الآخر و أمه تنادي عليه : يلا يا احمد البس عشان نروح للمعمل.

أجري أحمد الكثير من التحاليل هذا اليوم لا يعرف ما سببها .الغريبةأن نتائجها تخرج في الحال، ولا يعلم لها أحمد من أسماء سوي بعض الأسماء الطبية التي لا يحب أن يزعج بها نفسه .ذهبا في آخر المطاف إلي معمل للأشعة ليقوم بمسحٍ للمخ .و في نظرات مريبة للدكتور المتخصص في الأشعة بعد خروجها، رمقه بنظرة غريبة لم يفهمها أحمد، و لا يعلم لماذا نظر إليه هكذا سوي أنه لم تعجبه تلك النظرة .فنهره بنظرة أخري.أخذت أمه الأشعة،و انطلقا إلي المنزل ليفتح تيليفونه و يجد الرسائل و المكالمات المعتادة من نادر فقط .فيستغرب و يقوم بالاتصال به.

ايه يابني كمية المكالمات دي.

انت ياعم لو هتقفل موبايلك تاني ماتكلمنيش تمام !مش ناقصة قلق علي أهلك، الواحد غلطان

أصلًاإنه عايز يطمن عليك.

اهدي بس يا معلم و الله اليوم طويل و ماكنتش في مود أكلم حد.

و انا حد يا عم أحمد.

لا إنت سبت هههه، فكك يا صديقي ماتزعلش بقي و الله ماتزعل دانتا حتي الديلر بتاعي يا جدع و طلعت أجدع من العيال التانية الي مارنتش عليا حتي.

عيال مين؟

العيال هو في غيرهم محمود و حسام.

آه المهم إنت عملت ايه.

لسه هروح كمان 3 ساعات للدكتور عشان يشوف نتيجة التحاليل و الأشعة.

هي الساعة كام ؟

الساعة.3

ها !3 !طب اشطة سلام انت دلوقتي.

ماشي سلام و ابقي كلمني.

أوك.

تذكر أحمد أن اليوم لا يوجد به محاضرات، و تذكر آلاء.أسرع إلي الشرفة حتي يجدها جالسةً علي كرسيها، واضعةً سماعات الأذن،متجهةً بنظرها إلي شرفة أحمد.

ايه دي باصة نحيتي و مش واخدة بالها إني ببصلها انا كمان .ماتحرجهاش يا غبي بص تحت في الشارع عشان ماتخدش بالها إنك بتبص لها انت كمان .ظلت ترمق أحمد لما يزيد عن نصف الساعة ولا يعلم ماذا يفعل هو؟ ظل يرمقها بنصف عينه حتي دخلت إلي شقتها و ظل هو جالسا

في محرابه، يتأمل كل تفصيله حدثت معها من قبل :نظراته لها عند دخوله أول يوم للجامعة .يتذكر مازن و ماذا فعل به عندما سمعأنه يريد أن ينسج خيوطه حولها .يتذكر اللقاء الذي دام ثواني- في عرفكم أنتم البشر -و لكن تساوي سنينًا عنده .يتذكر نظرتها له و هي تضحك، فتطير من حولها الفراشات ،و تزدهر الدنيا من حولها،و تتحول إلي اللون البمبي .يتضكر حجابها، و كيف يضفي عليها لمسةإلهية من يد الاله نفسه .يتذكر نظرة الخوف التي إعتلت وجهها عندما سقط علي أرضية المعمل أول أمس .كل هذا يتذكره، حتي سمع الصوت مرة أخري :صوت آذان العصر يختلج قلبه، و يستمع إلي كل كلمة منه .تذرف عينيه دمعًا ولا يعرف لماذا؟ فبعد كل هذه السنوات التي لم يدعي فيها ربه إلا مرة يحن قلبه إليه، و يدعو"يارب اجعلها لي"انتهي الآذان و ظل أحمد بالشرفة حتي جاءت والدته بالطعام ثم ميعاد الدكتور .خرجا الاثنان في اتجاههم إليه .و عندما دخلا وجدا السكيرتير في لهفة يدخلهما وسط تذمرٍ من باقي الموجودين حتي دخلا إلي الدكتور، فوجد نظرةً تعتلي وجهه، حيث قد أرسلت الأم نتائج الأشعة و التحاليل إليه مسبقًا .

جلس أحمد و والدته أمام الطبيب .خلع الطبيب نظارته و أخذ يحدثهما.

إنت طبعا يا ابوحميد مؤمن بالله و مؤمن بالقدر خيره و شره.

نظر أحمد إلي الطبيب نظرة محيرة لا يفهم شيئًاو والدته نفس الشئ.

لازم يكون عندك إيمان يا احمد وتعرف إن ربنا مش بيأذي حد إلا عشان يختبر إيمانه، جايز شايفك بعيد عنه شوية فحب يقربك منه شوية

قالت الأم في غضب و مازال أحمد لا يفقة شيئًا كالأصم في مولد السيد البدوي.

اتكلم يا دكتور قلقتني فيه ايه؟إنت كدة بتقلقني علي أحمد.

أحني الطبيب ظهرهإلي الأمام، و الشفقة و الألم يعتصران وجهه.

أحب أعرفك يا أستاذة أن أحمد .....و يطلق نفسًا طويلًاشعر أحمد أنه دهرًا .ظل ينتظر كلمات الطبيب في تلهفٍتارة، و لا مبالاة تارةًأخري .لا يعلم ماذا تخبئ له الأقدار .حتي عاد الطبيب و حدث أحمد هذه المرة .

عايزك تتمالك نفسك يا احمد،إنت قوي و قدها .إنت عندك cancer علي المخ.

يصمت الجميع في هدوء غلب هدوء المقابر، لا يقطعه سوي نهنهات أمه ،و أحمد لا يفهم شيئًا مما حدث سوي أنه سوف ينال أخيرا ماكان يحلم به دائمًا :الموت.....

****

الفصل الخامس :

المستشفي

دقائق قليلة، اعتدت التفكير فيها، غريبة غربة الابن الضال من أبيه وسط زحمة الناس .أعلم نهايتي، فهي محتومة مكتوبة بقلمي . لم أعهد الندم يومًاإلا قليلا .أعذب نفسي بنفسي .أتسابق زمنيًا مع عقلي،أيهما يصل بي إلي الجنون أولًا .عقارب ساعتي دائمًا متوقفة، ثابتة، غير متحركة كأصنام الكعبة القديمة الصماء .أتلاشي تدريجيًا، بفرض الحب ووجودهأحيا، و بفرص الأمل و زيفهأعيش .لم أهرب من مواجهة نفسي يومًا بيومًا،لم أواجه الناس يومًا .تناقضي يلفت أنظار من يهيمون في مترو محطة الشهداء ,زومبي، لا يشعرون إلا بالمختلف عنهم رائحة و شكلًا، أتقاضي راتبًا من الكره و الحقد حتي أرضي به شهوات عقلي المريض .أتنفس إرضاءًلجسدٍ متهالك صحيًا . ألعن يوميًا تفكيري،لا يزيد إلا أضرام النار في كنار و دبت في هشيم .كل يوم أذهب إلي فراش نومي و كأنه كفني، يسحبني إلي أعماق الموت الأسود و لا أدري إلا و اليوم الآخر يدب في

الحياة التي لا أثق في احتياجها .كل هذا و أنا أجلس أمام نفسي،أعاتبها معاتبة الحبيبة للحبيب . لمأعلم هل الحب موجود حقًا؟!!أم هو وهم من أوهام عقلي الذي ما كنت دائمًامتيقنًاأنه سراب لا غير، كضباب بحيرة في شتاء قارص البرودة.

اللي عندك دا يا احمد مش عندك إنت لوحدك! في آلاف عندهم المرض بس اتعالجوا و عاشوا! لازم تكون عندك ثقة بالله.

ثقه بالله هههههه . يضحك أحمد ضحكات هيستيرية حتي ظن الجميع بأنه قد جن.

لا ياحمد ماتخليش اليأس يسيطر عليك خلي عندك إيمان بالله.

تصدق يا دكتور أنا عمري ماكنت مؤمن ولا بفكر في حاجة غير نفسي ! مسلم بالأسم بس ! الي بيربطني بالاسلام بطاقة و بس! عمري ماحسيت بحاجة روحانية من صلاة أو صوم أو أي شئ من ده ! و جاي تقولي إيمانك و مش إيمانك .

ترتسم علي وجه أحمد نظرات ارتياب تتحول إلي ضحكة صامتة، تتحول إلي درب من دروب الجنون . المزاج العام أصبح يشع سوادًا و أحمد لا يعلم ماذا يفعل؟ تخرج منه كلمات و كأنها لأول مرة يتحدث فيها، و أمه لا تزال دموعها تكوي قلبه قبل أن تكوي قلبها . فهو لا يريد أن يجعلها تعيسة في الدنيا بعد أن ابتعد عنها والده . في هذه الأثناء تتحدث والدته مستفسرة.

ممكن يا دكتور تقولي تشخيصك للمرض و ايه الخطوات للعلاج و ايه هو المرض أصلًا.

يرد عليها الطبيب في حزن يشعر به تجاه أحمد و حالته : حالةأحمد زيها زي حالات كتير، بس المشكلة هنا في حاجة واحدة !إن الورم كان حميد، الأشعة أثبت لي إن الورم تاريخه بيرجع لعشر سنين فاتوا و إنه كان ممكن السيطرة عليه لو كنا اكتشفناه بدري . الورم ماهو إلا خلايا بتنمو نمو غير طبيعي شاذ، بيأثر علي وظيفة المنطقة اللي عليها الورم . عشان كدهأحمد ماكانش بيحس بصداع قبل السنة دي علي حسب كلامك،لإن الورم تحول لخبيث، و هنا لازم اقول لكم إن أحمد لازم يخضع لبرنامج العلاج .أحمد الورم اللي عنده ورم علي الفص الأيمن من المخ، و دا مركز حساس جدًا و صعب الوصول ليه بالعمليات بس، و لازمله برنامج كامل ممكن بعديها يرجع

أحمد للحياة الطبيعية، بس مش أوي لأنه ممكن يأثر علي حركته أو علي نظره بعدين . بس ماتقلقوش نتيجة العمل مضمونة، و العلاج إن شاء الله يجيب نتيجة.

يعني إنت شايف ايه يا دكتور.

أنا شايف إن أحمد يبدأ يجهز نفسة للعملية و يجهز نفسهنفسيًا لو حصل لقدر الله أي أعراض جانبية. احنا هنعمل عملية عشان نشيل أكبر جزء من الورم من علي المخ .و نظرًا لإن الورم كبير، فاحنا هنتبع برنامج علاجي كيميائي أو إشعاعي حسب رغبتكم . بس أنا برجح الكيماوي لإنه بيقضي علي الخلايا أو يخمدهاإلي أمد طويل.

قاطع أحمد والدته والطبيب في دهشة قائلًا :خلاص يا دكتور أنا مش عايز أتعالج !أنا مش عايز اتعالج يا دكتور أنا راضي بنصيبي . مش إنت بتقولي ارضي و ثق بالله .أنا بقي بقولكم مش هتعالج و يلا بينا يا ماما.

اهدي ياحمد عشان خاطري اهدي و لما نروح البيت نتكلم .

لازم تعرف يا احمد إن ده ابتلاء من ربنا . يمكن ربنا اختبرك عشان يعرف إيمانك و قوتك و يعيد ترتيب حياتك . اتفضل يا احمد عشان تروح و ترتاح و بقي نتكلم بعدين لما تهدي من الصدمة.

يخرج أحمد و والدته و الجميع في صمت يكاد أن يتحول إلي طنين نحل يصم الآذان . يتجهان إلي المنزل و يدخل أحمد الي غرفته ليجد رقم والده يطلبه، يجيب أحمد و لا تزال دموعه تذرف علي وجنتيه حتي أحس بوجودهما فمسح وجهه و أجاب.

أيوا يا بابا.

الي أنا سمعته دا حقيقي.

أيوا حقيقي و مش هتعالج.

مش هتتعالج إزاي يا بني إنت غصب عنك هتتعالج !إنت حياتك دي مش ملكك لوحدك!كلنا لينا حق عليك.

يضغط أحمد علي زر الانهاء، فهو ليس في مزاج جيد للحياة يغلق موبايله في استسلام للواقع الذي يمر به . لا يدري أهي النهاية بكل ماتحمله الكلمة من لذة و متعة؟أم أنها نهاية حياة عهد فيها إلي النسيان؟ حياة ركيكة لا تتسم بأي نوع من الروح،حياة جامدة رتيبة مملة إلي أبعد الحدود . يجلس أحمد عند نهاية سريره موجهًا رأسه إلي الله، مناجيًاإياه في مرة من المرات القليلة التي يفعلها، و يتحدث بعفوية كعفوية طفل صغير لا يعلم ماهو الله، و لكنه يسمع والدته تدعيه فيفعل مثلها . يخرج نوتته و يكتب الفصل الأخير الي الله :بتعمل معايا كدة ليه؟ مانا كنت بعيد . ليه قلبت لي حياتي؟ كنت عايش و مش عايز حاجة تانية ! الجنة دي كنت سايبها للي يستحقها ! ماكنتش محتاج حاجة ! الدعوات وفرتها، ماكنتش عارف إمتي هقولك الكلام دا، بس خلاص دا وقت مواجهتي بيك يارب!أنا كنت مش عايش، كله كان كام نفس بتنفسه عشان يبقي اسمي عايش! ليه خلتني أحس! ليه بدأت ترجعلي الروح تاني؟أنا كدة كدة مش محتاجها! و علي فكرة أنا مش زعلان من إني جالي مرض! بالعكس دانا بشكرك إنك هتخليني أفكر! وخلتني اتقرب منك . بس أنا دلوقتي تايه، مش عارف أعمل إيه .أخيرًا لجأت لك و بطلب منك مساعدة، مش عايزك تشفيني أنا كدة كدة الموت بالنسبة لي حياة اتمنيته من زمان، و اديك بتكافئني. حياتي كنت مسلمها ومستني نهايتها، لحد دلوقتي أنا مستني نهايتها،شكرًا إنك قربت لي النهاية.أنا دلوقتي مبسوط".

يغلق أحمد النوتة و يضعها جانبًا. ترتسم علي شفاته ضحكة بسيطة . ينظر إلي كل شئ حوله، يتملي منه، و كأنه ينظر إليه للمرة الأخيرة . ينظر إلي أدق التفاصيل في محاولة منه لاسترجاع الصورة الكاملةأمامه. يريد أن يتذكر أي ذكري جميلة حتي تبهجه في تلك الأيام القاحلة . يا الله . و عندما يتذكرلا يتذكر سوي صورة آلاء تتوهج أمامه و كأنها طبعت علي جفونه لا يري غيرها و يقول : لمن أتركها؟ لماذا لم أتكبد عناء إخبارها بحبي؟ انتظرت حتي فاتت الفرصة ! تشتعل عيناه بالدموع و كأنها جازولين تحرقها.بدأ في تذكر اللاشئ . يسمع طرقات علي باب غرفته أنها أمه المكلومة لما سمعته من الطبيب.

أحمد حبيبي افتح عشان خاطري عايزة اتكلم معاك شوية.

ماما مش عايز أتكلم مع حد . يخرج لابه و ينظر الي صور آلاء أمامه.

يا حبيبي خليني بس اتكلم معاك شوية هما نص ساعة و قرر بعدها اللبيانت عايزه.

ماما ماتخافيش أنا خلاص هتعالج بس مش عشان نفسي لا عشانك إنتي، عشان ماتعيشيش لوحدك بعدي، عشان ماتعيشيش طول عمرك حزينة .أنا مش عايز أشوف في عينيكي نظرة حزن تاني أو زعل.إنتي أجمل حاجة حصلت لي في الدنيا دي يا ماما مش عايزك تخسري حياتك بسببي. هتعالج يا ماما عشان تعرفي إني بحبك أوي . يفتح الباب ليجد أمه تذرف الدموع و كأنها شلال في غابة استوائية، تضمه إلي صدرها ضمةأحس أحمد بحنان الدنيا و مافيها.أحس ولأول مرة في حياته ماذا تعني كلمة حب؟ ماذا تعني له أمه؟ لم يكن يعرف أنه يحبها هكذا ! لم يكن يعرف أنه لا يريد إلا إسعادها . ضحكت الأم في غلبة علي أمرها و قالت له : هكلم الدكتور يحضر كل حاجة و يحضر للعملية و المستشفي و غيره . ربنا يشفيك يا حبيبي إن شاء الله.

إن شاء الله يا ماما.

يشعر أحمد بتدفق المشاعر إلي روحه و كأنها قطرات ماء يشربها الصائم علي الافطار . يفتح تيليفونه ليجد في تلك اللحظة نادر يتصل به . يستغرب جدًاان محمود و حسام لم يعدا يتصلا به، و أن نادر هو الذي أصبح يلزم أحمد في كل شئ . يجيب أحمد":أيوا يا نادر.

إنت إيه يابني مخك تعبان مش قلتلك مليون مرة ماتقفلش الموبايل دا.

معلش يا صاحبي.

مال صوتك.

مافيش.

عملت ايه عند الدكتور؟

يصمت أحمد في لحظة توقفت فيها الحياة، و لم تعد الكرة الارضية تدور حول الشمس، و اختفي فيها القمر من مكانه . ليرد بكلمات كأسهم مصارع ثيران أسباني.

كانسر علي المخ.

نعم ؟ !انت بتقول إيه يابني كانسر إيه .

زي ما بقولك يا نادر كانسر علي المخ بقاله عشر سنين من بعد الحادثة.

يصمت نادر في محاولة منه لامتصاص الصدمة التي عصفت بعقله و جعلته يقف حائرًا لا يريدأن تخرج الكلمات من فمه : اتأكدت من الي بتقوله ده؟!

لسه جاي من عند الدكتور و قالي علي الخبر.

لا اله الا الله مش عارف أقولك إيه يا صاحبي إنت قدها! و أبوس ايدك شد حيلك و ماتفكرش في أي أفكار هابلة .أنا عارف إنك ممكن تقلياني مش هتعالج.

قاطعه أحمد:أنا فكرت في كدة فعلًا، بس افتكرت أمي يا نادر، مش عايزها تعيش لوحدها أو تعيش حزينة صعبت عليا أوي.

عفارم عليك ربنا يهديك يابني هو دا الصح ! هتروح إمتي المستشفي؟

كلها يومين و هروح.

عايز أشوفك.

بلاش يا صاحبي الفترة دي مش عايز حد يشوفني و أنا كدة.

أنا كدة اطمنت و زيادة . تسلم يا صديقي . هريحك يا احمد و هبقي أكلمك كل يوم أطمن عليك.

هههههههه كل يوم .دا إذا عشت يا نادر.

يذرف نادر بعض الدموع و يغلق ليترك أحمد إلي نفسه التي لا تتحمل مثل كل هذهالضغوط . يتذكر آلاء. يتذكر وجهها الملائكي . يتذكر كل تفصيلةبوجهها. لا تخرج من باله دائمًا هي و أمه و كأنه يعد نفسهإلي مابعد الموت حتي لا ينساهما .آلاء التي أعادت إليه جزءًا من روحه، و أمه التي جعلت المشاعر تعود إليه من جديد.

تنادي أمه عليه :أحمد ميعاد العملية اتحدد بعد بكرة.

ماشي يا ماما.

تدق الساعة بالحادية عشر حيث عادوا من عند الطبيب في العاشرة مساءًا . يخلد أحمد للنوم و صديقه المقرب يزوره: الصداع، لا يبالي به و يخلد إلي نوم لم يشهده من قبل . نوم أحس بطعمه و كأنها المرة الأولي و الأخيرة التي ينام فيها . يتذكر آلاء، و يتخذ قرارًا و هو نائم . فمعظم قرارات أحمد يتخذها نومًا حيث يكون ذهنه صافيًا لا ينزعج بالأحلام مثل باقي البشر.يتواصل مع نفسه و قرر أن يعترف لآلاء بحبه . انتظر اليوم الذي يفصله عن العملية . يستيقظ عصرًافي تمام الثالثة بتوقيت المنصورة، و دون تفكير يتوجه إلي الشرفة في محاولة منه لرؤية آلاء للمرة الأخيرة قبل العملية. فهو لا يعلم أسيعيش مرة أخري ليراها أم تكون الأخيرة و لن يعترف لها بحبه . يتجه إلي الشرفة ليجدها في مكانها المعتاد، تضع سماعات الأذن. لكم يحسد الموبايل و المطرب أو المطربة التي تستمع إليهم الآن . فقد نالوا شرف أنهم يُسمعون من قِبلآلاء، و تمني أن يكون هو المطرب حتي يعبر لها عما يخلج بصدره. و لكنه يعلم أنه لو اتيحت له الفرصة فسيستغرق عمر سيدنا نوح حتي يعبر لها عن حبه . يراها تدخل إلي الداخل . قرر أن يراقبها حتي يتسني له فرصة مقابلتها. و استمر في مراقبتها حتي وجدها تنزل إلي الشارع الهادئ صباحًا، ليرتدي مايقابله ولا يعلم قلبه لماذا يخفق هكذا؟ فلم يعهد له بذلك. ينزل إلي الشارع ليجدها تذهب إلي السوبر ماركت. ينتظرها حتي تخرج ليذهب و يحدثها و تكاد روحه مع كل خطوة يخطوها ناحيتها أن تفراق جسده في تعذيب حتي يقف أمامها مناديًا :لو سمحت، ولا يكاديصدق أنه يقف أمامها : أمام ملاكه الحارس . توقع أنها سوف تتركه و تذهب، و لكنه تفاجئ بأنها وقفت في إنصات له.

أيوا.

ممكن كلمتين بس مش هاخد من وقتك أكتر من دقيقتين.

مممممم، تضم آلاء شفتاها في حيرة من أمرها .أمن الممكن أنه سوف يصارحها الآن؟أمن

الممكن أن يكون أحمد سيف الدين وقع بحبها؟ لترد عليه بابتسامةأذابت قلب أحمد : اتفضل أنا سامعة.

حضرتك بصي،أنا أول مرة في حياتي أعمل كدة،أول مرة أكون بالقرب دا مع بنت .أول مرة أقف قدام واحدة جمالها عدي حدود الخيال، لان مافيش حد جميل زيك كده .إنتي لو كنتي موجودة أيام زمان كانوا عبدوكي . من لآخر أنا مش بعرف أتكلم أصلًا و اللي بعمله ده مش عارف أنا بعمله ليه .

ينظر لها و الحب يكاد أن يعميه . و هي يدق قلبها حتي ظنت أنه يسمع دقات قلبها.

آلاء.....آلاء أنا بحبك.

يصمت ليشعر أن حجرًا من حجار بلال ابن رباح قد أزيلت من علي صدره و هي كاد أن يتوقف قلبها من الفرحة و المفاجئة ليكمل حديثه.

آلاء، اناعندي عملية بكرة و مش عارف هعيش و لا هموت، بس أنا قررت إني أصارحك بحبي لإني لو ماكنتش صارحتك كنت هندم باقي عمري. و مش عارف هعيش و أشوفك تاني ولا لاء؟ و مش منتظر منك أي رد كفاية عليا إني اعترفتلك . دي آخر أمنية في حياتي .أسيبك بقي عشان مش عارف أقول إيه تاني.

يتركها و يرحل دون أنيسمع منها ردًا. لا يعلم حقيقة شعورها:أهي تحبه أم معجبه بشكله فقط؟ لا يعلم. هو الآن لا يحمل همًاإذا مات . فقد أخرج ما كان يكتمه طوال هذه المدة منذ أن رآها . ليعود إلي البيت و الراحه النفسية أصبحت ترتسم علي وجهه، ليجد أمه تقابله بابتسامة تشرح قلبه.

مالك ياحمد مبسوط كدة ليه فرحني معاك .

مبسوط يا ماما. الحمد لله أنا مرتاح أوي دلوقتي دعواتك.

ربنا معاك يا حبيبي . يلا نجهز الشنطة عشان لازم نروح دلوقتي المستشفي عشان العملية بكرة الصبح الساعة 9و هنبات هناك من النهاردة عشان المفروض ماتكولش حاجة قبل العملية بتسع

ساعات.أنا كلمت الدكتور و هو مجهزلك الأوضة الي هتقعد فيها و كل حاجة جاهزة . يلا عشان العملية في القاهرة عبال مانوصل هناخد وقت.

حاضريا ماما تعالي نحضر الشنطة.

يدخلا إلي غرفته و ما بها من فوضي عارمة . تلتقط والدة احمد بعض الملابس من هنا و هناك و تكمل ما جاءت من أجله. يرتدي أحمد ملابسه، و تغلق والدته الشقة بعد خروجهما و قلب أحمد ينبض ولا ينفك. ينظر إلي شقة آلاء : شقة 47، حتي وصلا إلي محطةالحافلة و يستقلا الحافلة المتوجهةإلي القاهرة و كأن أحمد يشعر بتوجهه إلي الموت و كأن الحافلة علي الصراط المستقيم،إلي طريقهلوضع أحمد بمكانه الصحيح،إلي الجحيم،إلي أصدقائه الزبانية،إلي ملائكة العذاب . يشعر أنه سوف يوفي عهدهإلي ملك الموت أخيرًا وليس نادمًا .كل ماعليه هو الابتسام لطمأنة والدته و لطمأنةنفسه . فهو يشعر باقتراب الموت لأول مرة في حياته .يصل أحمد إلي المستشفي ليجد في انتظارهطاقم طبي يضم العديد من الأطباء و الممرضات . حتي وجد الدكتور حامد في استقباله، و أشار للطاقم بالاستعداد و تجهيز مايتم تجهيز من جل العملية . فالطاقم الطبي يضم)د.حامد و أخصائي تخدير و أخصائي أورام و دكتور مخ و أعصاب آخرو طبيب للعلاج بالكيماوي و طبيب نفسي و الممرضات في غني عن التعريف (يبدأ الدكتو حامد في شرح ما سيتم لأحمد في خلال الساعات القادمة :بص يا ابو حميد إنت هتاكل كويس دلوقتي عشان إنت ماينفعش تاكل أو تشرب قبل العملية ب 8أو 9ساعات، فتهدي خالص و ماتفكرش بحاجة و إن شاء الله هتعدي علي خير . بعد العملية هتقعد معانا في المستشفي إسبوعين تحت المراقبة، و كمان عشان العلاج الكيماوي هيستمر معاك 8أسابيع، و إن شاء الله بعديها ترجع لينا بالسلامة. ماتقلقش دلوقتي يا بطل خش الأوضة الليمحضرهالك و الممرضة هتجيب لك الأكل لحد عندك.

شكرًا يا دكتور.

ماتشكرنيش دلوقتي، اشكرني بعد العملية لما تنجح و ترجع لينا تاني بإذن الله.

يخرج الطبيب من الرواق المؤدي إلي الغرفة المجهزة لأحمد إلي غرفة العمليات للاطمئنان علي أن كل شئ جاهز و في موضعه. تحدث قليلًا مع الطاقم الطبي لوضع اللمسات الأخيرة قبل الذهاب إلي النوم. دخل أحمد إلي الغرفة المجهزة له و تصادف أن تكون الغرفة برقم .47 اندهش أحمد و ابتسم ابتسامة صغيرة، وضع حقيبته أرضًا و جلس علي السرير يفكر في آلاء و في أصدقائه الذين لم يتصلوا به حتي للاطمئنان عليه، فهذا كله أثار حنق أحمد كثيرًا، فهو كان يعتبرهم عائلته بعد أمه سوي نادر الذي لم ينفك أن يتصل به كل ساعة للاطمئنان عليه، و علي أحواله، و متي سوف يبدأ العملية، و إلي متي سوف يغيب؟ و انتقل بتفكير إلي آلاء مرة أخري، يتذكر ردة فعلها عندما أباح لها بحبه و بسر من أسرار حياته. عندما تذكر ملامح وجهها لم يكن في باله سواها، و كيف لا؟ و هي من شغلت باله أيام و ليالي لا تعد ولا تحصي.أراد أن يعود أدراجه إليها حتي ينال من نصيب رؤيتها جانبًا.أصبحت علاقته بربه إلي حد ما مقبولة حيث بدأ في الدعاء إليه و مناجاته أن يراها مرة أخري . و بعد دقائق في السفر بعقله و خياله إلي بلاد ما وراء النهر بالنسبةإليه،فهي تبعد عنه الآن مسافات و طرق و حتي أمنيات. فهي مبعثة الروح، كاشفة المجهول، ذائقة الفرح، منتجة الآمال بالنسبة له. ثواني و سمع طرق علي الباب ليسمع صوت أنثوي من خلفه، ليتأكد أنها الممرضة التي جاءت بالأكل له. فتح الباب ليجد ممرضة مكتنزة الجسم، ناعسة المنظر، تقاتل النوم مقاتلة جندي اسبرطي لجيوش فارس، تحمل "صينية "مليئة بالطعام، كل مالذو طاب، و هي لا تدري بأن أحمد ليس له علاقة جيدة بالأكل. دخلت من باب الغرفة، و عدلت من حجابها، و حاولت جاهدة ألا توقع الصينية. وضعتها علي الطاولة المجاورة له و قالت في صوت يغلبه النعاس :ياريت تاكل عشان العملية بكرة صعبة و مش هتاكل بعديها لفترة و كمان مش هتعرف تشرب سجاير و الدكتور خايف عليك عشان إنت بتشرب و دا فيه

خطر علي صحتك .

شكرًا و إن شاء الله هاكل و مش هشرب سجاير و هشرب اللبن و أنام بدري.

ابتسمت الممرضة بابتسامة خفيفة و قالت :خلي دايمًا الضحكة علي وشك عشان مش عارف إنت ممكن يكون حالك إيه بعد العملية، حياتك هتتغير 180درجة. نصيحة من أخت ماتسيبش الحزن ياكل كل سعادة في حياتك عشان إنت بجد هتحتاج كل لحظة سعادة في حياتك عشان تفتكرها. ربنا معاك و يشفيك.

كلماتها البسيطة أخلت بتوازنه العقلي، لا يعرف لماذا أثرت به هذه الكلمات؟ فربما لبساطتها؟ أم أنها صادقة خارجة بطلقائية وعفوية زيادة عن المعتاد؟ خرجت الممرضة من الغرفة و مازال يفكر في كلماتها. حاول تناول الطعام فبالرغم من لذته،إلا أنهلم يأكله كاملًا.أكل ما كان يحتاجه جسدهفعليًا و قرر أن ينام حتي يتذكرها، حتي يتذكر ملاكه الحارس، و هل سيتخلي عنه بعدما عرف حقيقته أم أنه سوف يقف بجانبه إلي حتي يستعيد أحمد حياته و يعود لها محللًا كيف حدث هذا التجاذب بينهم : بين فصيلتين لم يعهدا من قبل، الالتقاء الملائكة و الشياطين،إلا أن موعد انحدار روح الشيطان إلي الجحيم قد أتي، و نفخ في الصور من أجل عودته الحميدة إلي مكانه:إلي الجحيم. نام أحمد و استغرق بالنوم في نشوةٍ، و خوفٍ، و رهبةٍ، و سعادةٍ، و جبنٍ من مواجهة ما سيأتي له،إحساس مختلف حين تعلم باقتراب نهايتك، حين تدرك أنك علي شفا أن توصل الرسالةإلي صاحبها الأصلي. استيقظ علي نفس الصوت الأنثوي ليجدها تقف بجانبه و توقظة برقة و شفقة، و كأنها تعلم مصيره. استيقظ و أشارت له بأن يرتدي ملابس المستشفي، و أخبرته أنه سوف يحلق ما لديه من بعض الشعيرات برأسه، و اعطت له بعض الحقن بناءًا علي أوامر الطبيب .ارتدي أحمد زي المستشفي و ذهب ليحلق رأسه حتي وجد الساعة الثامنة و النصف صباحًا. سرت قشعريرة في جسدهأشعرته بحياته مرة أخري.جلس في مواجهة الشباك الذي بالغرفة موجهًا نظره إلي فناء المستشفي،محملقًا في كل شئ حوله، و كأنه لن ينظر إليه مرة أخري،

لا يقوي عليإشاحة نظره عن أي شئ و لو كان بسيطًا، فهذه فرصته الأخيرةلأن يجد السلام الداخلي قبل أن يجد السلام الدائم، ليجد الطبيب يدخل إليه و يتحدث إليه بنبرة هادئة حتي لا يوتره. طلب منه أن يذهبا معًاإلي غرفة العمليات و قلب أحمد يدق و كأنه نبضات قنبلة ذات موقت و ستنفجر في أي وقت. دخل أحمد إلي غرفة العمليات محمولًا علي سريرٍ متحرك، و نقله الأطباء إلي السرير المخصص للعملياتليبدأ دكتور التخدير في عمله. يضع قناع الغاز علي أنف أحمد و فمه. يطلب منه العد إلي رقم عشرة ليبدأ احمد العد 6 ..... 5 .. 4 .. 3 .. 2 .. 1 و يفقد الوعي كاملًامسلمًا نفسه إلي أيدي الأطباء. يبدأ دكتور حامد في مطالعة الأشعة الخاصة بأحمد، و معرفة مكان الورم، و التأكد من موقعه. تبدأ المرحلة الصعبة، فبعد التخدير يقوم الطبيب بشق جزء من فروة رأس احمد في مكان الورم بمشرط و كأنه سيف اخترق جلد رأسه و الدم يكاد أن يتفجرمنها، و الممرضات و المساعدين حول الطبيب، منهم من يقوم بتنظيف الجرح، و منهممن يقوم بمساعدة الطبيب و إمداده بالمعدات اللازمة.تأتياللحظةالأصعب و هي قطع جزءٍمحددٍ من الجمجمة. و تعد منأصعب الخطوات في العمليةنظرًا لخطورتها. يقوم الطبيب بإحضار ما يشبه المنشار الدائري: منشار كهربي و يبدأ في كسر الجمجمة بدقة صانع ألماس، حتي يقوم بتكوين مربع من عظام الجمجمة في مكان الورم و يخرجها. عندها بدأ الجميع في العمل و الهرج و المرج حتي لا يودع أحمد الحياة، فهذهأخطر اللحظات علي حياته. ينزع الطبيب الغشاء الرقيق المحيط بالورم، و يبدأ في عملية استئصاله. يستئصل ما يمكن أن يستئصله.نظرًا لكبر حجم الورمفإنه لن يستطيع أن يستئصله مرة واحدة، و سيتبقي البعض منه سوف يتم معالجته بعد ذلك بالعلاج الكيماوي. ينتهي الطبيب من العملية بعد استغراقهأكثر من 5ساعات مرهقة للطرفين،أعاد إلي أحمد جزءًامنعظام جمجمته، و أعاد جلد الرأس مرة أخري و تثبيتها بالدبابيس و المشابك الطبية، و أمر الطبيب الطاقم الطبي نقل أحمد للعناية المركزة حتي يستعيد وعيه و عافيته.كانت والدة أحمد لا تزال عند باب غرفة العمليات، و تذرف من الدمع ما يكفي لإغراق بلدة يابانية بأكملها.استقر أحمد في غرفة العناية المركزة ومُنعتوالدته من رؤيته تمامًا

حتي يفيق. مرت تلك الساعات علي أحمد كأنها ثواني و علي والدته و كأنها دهْر، و كأنه عمر سيدنا نوح. تهدأ أخيرًا بعدما التقي بها الطبيب و حدثها عن العملية و طمئنها بنجاحها، و طلب منها أن يحدثها علي انفراد في غرفته ليشرح لها بعض الأشياء. كان أحمد في ذلك الوقت يهيم بعقله في كتلة الفراغ، لا يعلم أهو الموت أم العودةإلي الحياة مرة أخري و لكنه يعلم أنه في كلا الحالتين أنحياته التي عهد إليها مسبقًا سوف تتغير .....

****

الفصل السادس :

مابعدالحياة

تدخل والدة أحمد إلي غرفة الطبيب ليبدأ معها حديثًا ربما يغير من مجري حياة ابنها بل و حياتها أيضًا .الطبيب :أنا عايز حضرتك يكون عندك إيمان بالله و إن دا قدر و مكتوب.أولًاأحب اطمنك

إن العملية نجحت و قدرنا نستأصل جزء من الورم و إن شاء الله أحمد هيكمل علاج بالكيماوي و يقوم لنا بالسلامة. بس ....

هنا تتوقف أنفاس والدة أحمد و تترقب شفاه الطبيب ليفاجئها و يكمل حديثه : ماخبيش عليكي أحمد مش هيفتكر حاجة بعد العملية، هينسي كل أحداث حياته ماعادا الأحداث اللي حصلتله في المدرسة و الكلية :يعني تعليمه لأنه الاحتفاظ بالمعلومات في فص آخر للمخ، بس المشكلة إن أي شخص أو أي حدث حصله مش هيفتكره، حتي إنتي مش هيفتكرك المرحلة الجاية . مش سهلة عليه ولا عليكي خالص بسلازم نوفر له جو من الاهتمام الزيادة إلي جانب حياته الجاية. صعب جدًاإن الإنسان يعيش من غير ماضي أو ذكريات حصلتله، لازم نكون أقويا و مانحولش نعرفة بحياته اللي فاتت. خلينا نكون له ذكريات جديدة و حياةأجدد، دي كل الآثار الجانبية إلي جانب رعشة خفيفة في ايده ف الجنب الي اتعمل فيه العملية، دا طبعًا جنب العرجة اللي كانت عنده نحمد ربنا إن أحمد عايش الحمد لله ..

كل هذا و كأن والدة أحمد قد غطاها التراب، و كأنها دفنت حية، لا تعلم ماذا تقول، لا تعلم ماذا تفعل، تتخبط بداخلها كل شئ من كلمات إلي أفعال . تغلق عينيها و تذرف دموعًاساخنًة علي وجنتيها حتي تركت لها أثر. تلقت كلمات الطبيب و خرجت لتجلس في غرفة كانت قد أعدت لها، تذكرت كل الذكريات المؤلمة بدلًا عن ابنها. تذكرت ولادته، تذكرت أول خطواته،أول اسم نطق به، تذكرت المشاجرات بينها و بين سيف، تذكرت سفرهبعيدًا عنها، و كل لحظة عانت من الوحدة بسببه، تذكرت أول أيامه بالحضانة ثم المدرسة، تذكرت الحادثة، و تذكرت لحظات مرت عليها كتلك اللحظات التي تعيشها الآن. ابنها في المستشفي ولا تعلم ماذا حدث له؟أو بالاخص ماذا سيحدث له؟ تمسح دموعها، تتثاقل خطواتها، و تذهب إلي ما كانت تبحث عنه، متثاقلة الخطي. اتجهت إليها، و دخلت إلي الباب. جذبت كلتا الدفتين و جلست في الصفوف الأولي تترقب عينيه. تراقب ميلان رقبته، تتفحص جسده المسجي علي الأعمدة الخشبية، تنظر إليه و تبكي : يا مسيح أنا عارفة إنك مش هتسيبهأبدًا في الموقف دا،أنا عارفة و انت عارف يعني ايه

شعور بالعجز. و حياة العدرا ماتسيبههو محتاجك زي كل واحد فينا ماهو محتاجك.أنا جايالك ضعيفة و مش عارفة اعمل ايه،بس واثقة فيك يا مسيح، ماتسبناش في اللي احنا فيه. خد بالك منه، احميه و احفظه "بعد أن دخلت إلي الكنيسة و قامت بدعواتها التي قد أزاحت من علي أثقال قلبها جبال الهموم. جلست في إحدي غرف الكنيسة تبكي و تتضرع و تناجي و تتقرب، تقبل الصليب الموضوع علي صدرها، تتقرب و تتباعد. تري تارة المسيح يربت علي كتفها، و تارة أخري تري مريم العذراء تطمئنها .أحست براحة نفسية تسري في جسدها جعلتها في استكانة عذبة . يظهر رقم غريب علي شاشة تليفونها المحمول، لترتشف بعضًا من حبات دموعها و ترد بصوت متهدج تقطعت به الأوصال "ألو .ألو مين معايا .مدام ليلي .أيوا مين حضرتك .أنا آلاء محمود الفناجيلي حضرتك ماتعرفنيش بس أنا أعرفك قريب .تشرفنا أي خدمة .شكرًا ممكن أعرف أحمد أخباره ايه . طب حضرتك تعرفي أحمد منين .أنا زميلة أحمد في الكلية وجارتكم كمان ف العمارة الي قدامكم في شقة . 47أهلًا و سهلًا،أحمد الحمد لله خرج من العمليات و دلوقتي في فترة نقاهة و هيبتدي كيماوي . اية دة بجد. طب الحمد لله كنت عايزة أقول لحضرتك حاجة .اتفضلي يا حبيبتي .أحمد قبل العملية وقفني و كلمني .كلمك و قالك اية؟أحمد اعترف ليا بحبه.

شهقت ليلي و أطلقت تنهيدة مكتومة دليلًا علي الاندهاش مما تقوله تلك الشابة التي لا تعرف طباع ابنها بالتأكيد.

طب دا حصل امتي؟

حصل قبل العملية بفترة.

طب يا بنتي لازم تعرفي أحمد حصله اية .أحمد نسي كل شئ حصل له في حياته حتي نساني أنا .

لازم تعرفي إن أحمد مش هيكون أحمد بتاع زمان لازم نغير حياته، لازم يابنتي تغيريه معايا، بس مش عايزاكي تربطي نفسك بيه،أحمد محتاج رعاية و شفقة مش حب .أحمد حياته بتبتدي من جديد مش عايزينه يرجع للي هو كان فيه.

أنا مش فاهمة حاجة يا طنط.

مش لازم تفهي كل اللي عايزاكي تعرفيه إني مش هعيش كتير لأحمد و عايزاكي تكوني الإنسانة اللي تغيره بجد للأحسن . اوعاكي يا بنتي تحبيه،أحمد مش محتاج صدمات جديدة .أحمد لازم يبدأ حياته من جديد . يبدأ يعرف إن الدنيا مش كل الحاجات الوحشة اللي كان عايش فيها. سلام يابنتي و ماتنسيش كلامي دا.

و يُسمع رنين إغلاق الهاتففي الجهة المقبلة من المكالمة . ترتبك آلاء، لا تعرف ماذا يجب عليها أن تفعل؟ هي كانت قد اتصلت لتخبروالدته بأنها بالفعل قد خطبت بعد عدة أيام من حديثه لها . كيف الآن أن تصارحها . لقد انتهي كل شئ . حاولت أكثر من مرة الاتصال ولكن لا يوجد رد . اضطربت، لم تعد تعلم ماذا تفعل؟ ماذا يجب أن يكون واجبا؟ خطيبها طيب، ولكنه لن يتقبل أبدًا وجود شخص آخر في حياتها تتقرب منه،أو تظهر حتي بعض مشاعرالشفقة و الحنان، مثله كمثل أي رجل شرقي آخر . دارت الأفكار في عقلها كمرجل للقهوة، تتطايرشظايا من عقلها فيالاتجاهات الأربعة للكون . تتصل مرة أخري بوالدة أحمد، و لكن كالعادة لا يوجد رد. و الآن ياربي ماذا أفعل؟ألهمني يارب . حتي قررت الخروج إلي شرفة منزلها، و تضع سماعات الأذن لتذهب إلي غياهب الموسيقي التي دائمًا ما تحبها وأخذت تفكر.

علي الجانب الآخر، في الكنيسة القريبة من المستشفي التي يقبع بها أحمد . دخل القس و خادمالكنيسة ليري جسد مسجي علي المقاعد الخشبية فيالمقدمة، و يد يتدلي منها هاتف جوال و يصدر منه الرنين المعتاد الذي ينذربعدم وجود شحن كافي ليستمر الهاتف في العمل .ذهب القس بسرعة البرق ليري ذلك الجسد الذي يبدو عليه من بعيد علامات تثيرالرهبة . توجه بسرعة ليري جسد امرأة في العقد الثالث من العمر، تستلقي عليالمقاعد الخشبية، و في يدها هاتف جوال قد نفذ منه الشحن، و في اليد الاخري تقبض علي صليب قد علق في سلسلة التفت حول رقبتها . تسمر القس، و طلب من خادم الكنيسة أن يستدعي عربة الإسعاف بسرعة حتي يتسني له

أن يساعدها علي ألا تفارق الحياة . تحسس القس نبض المرأة، لم يكن سوي السكوت هو الذي يسمعه، حتي شعر القس بأنه ضيف غير مرغوب فيه . ذرف دمعات ساخنة سالت علي وجهه عندما علم أن المرأة قد فارقت الحياة .أخذ يقلبيمنة و يسريفيمحتوياتها حتي يتسني له أن يعلم من هي أو أي شئ يُعلمه هويتها. و أخيرًا يجد في محفظة جيبها بطاقتها، ليري الاسم ليلي يوسفحنا، المدينة المنصورة . يتعجب القس، ويسمع من بعيد صوت عربة الإسعاف تقترب في تحدي صارخ لطبيعة البشر . ارتجف القس، يعلمإلي أين سوف تئول الحياة بهذة المرأة . يتعجب أين زوجها؟ لماذا هي هنا؟ دخل المسعفون في محاولة أخيرة لانقاذها، و لكنهم فشلوا. توجههوا للقسو سألوه:

إنت تعرف المرحومة؟

لا و الله يا ابني أنا دخلت القاعة عشان أحضر شوية حاجات لقيتها بنفس المنظر، حسبتها نايمة أو مغمي عليها . لكن قيست نبضها طلع مفيشخالص .أنا كنت مخلي الراعي بتاع الكنيسة يتصل بيكم .هو ايه اللي حصلها؟

لسة مانعرفش كله هيبان في تقرير الطبيب الشرعي.

باسم الرب طب انتو هتودوها فين دلوقتي؟

احنا هناخدها المستشفي دلوقتي عشان نعرف التقرير المبدئي للوفاة . نستأذنك مانقدرش نسيبها أكتر من كدة.

طب استنو يابني أنا هاجي معاكم، شكلهامقطوعة من شجرة .

تمام اتفضل يابونا.

حمل المسعفون ليلي إلي العربة و اتجهوا بها إلي المستشفي الأقرب للكنيسة ، كانت تلك التي يقبع بها أحمد . دخل المسعفون إلي الاستقبال. استقبلهم طاقم ممرضات و كانت من بينهم الممرضة التي ترعي أحمد. شهقت الممرضة في إشارة منها علي الذهول و الشفقة مجتمعين، ذبل وجهها عندما تأكدت أنتلك المرأة هي والدة المريض الذي يقبع في العناية المركزة. انفلت من

عينيها دمعات قليلة حتي لم تتمكن أن تستيطر علي نهر دموعها، فتركت العربة التي كانت تحمل ليلي واتجهت إليغرفة من غرف الأشعة و كأن شلالات نيكاراجوا قد نقلت إلي عينيها. ماذا سيفعل هذا الشاب المسكين الذي سيستيقظ ليجد أن أمه قد تركته، و أنه وحيد الآن يصارع الماضي الذي لم يعد له وجود عنده. ومن جهةأخري، كيف سيكون استقباله للخبر؟ و كيف سيعيش الآن بدون ماضي أو ذكريات تجعله يتشبث بالحياة. دقائق حتي دخلت ممرضة أخري عليها الغرفة لتنهرها عما فعلته فحكت لها.

ايه يا بنتي اللي انتي عكلتيه ده، ميس نهاد هتوديكي في داهية و هتخصملك من مرتبك بسبب الهبل اللي انتي عملتيه ده . حد يسيبحاله ويجري و يعيط كده . اية أول مرة تشوفي حد ميت .

تلاحظ الممرضة دموعًا حقيقية تسيل من وجه زميلتها.

إيه يابنتي في إيه؟إنتي بتعيطي بجد؟

عارفة الحالة بتاعة كانسر المخ اللي دخلت من كام يوم .

آه عارفاها مالها.

الواد دا هينسي كل حاجة حصلتله في حياته .

طب وفيها اية ماحنا عارفين إن دا من الآثار بتاعة العملية.

اللي ماتعرفوش إن الحالة الي دخلت دي تبقي أمه.

امتقع وجه الممرضة الأخري في علامة منها أنها آسفة و أنها لم تكن تعلم.

لا إله إلا الله . ربنا يصبره .طب الواد دا هيعيش حياته إزاي بعد كدة؟

أنا مش عارفة بس ربنا بجد يكون في عونه.

طب الحالة دي أنا شايفة صليبمرسوم علي كتفه و الناحية التانية آية الكرسي. الواد دا ملحد ولا ايه؟

مش عارفة بصراحة إيه حكاية الصليب دا بس باين عليها حاجة خاصة بيه هو مالناش دعوة.

إنتي ماتعرفيش حاجة عن الحالة دي؟

لا كل اللي اعرفهإنه كان كانسر علي المخ و اتعمل العملية و تقريبًا هينسي كل حاجة في حياته و تقريبًا هيفوق بكرة علي الكتير و هنبدأ معاه كيماوي و بعديها علاج نفسي .

ربنا معاه.

انتبهت الممرضتان إلي صوت وقع خطواتٍ فهرولتا إلي الخارج . و عند خروجهما تذكرت إحداهما شيئًا قد ومض فيعقلها لتتجاهله و تستكمل ماذا كانت تفعل . توجه القس إلي غرفة الطبيب الذي فحص حالة ليلي ليسأله عن سبب الوفاة.

لو سمحت حضرتك الدكتور اللي فحص حالة الاستاذة اللي توفت من شوية.

أها مين حضرتك .

أنا قس الكنيسة اللي جنبكم .

أها أهلًا و سهلًا بحضرتك . الحالة كانت موجودة عندك في الكنيسة وقت الوفاة صح.

أيوا صح يا ابني ممكن أعرف هي توفت ازاي.

بص يابونا الوفاة طبيعية جدًا .هبوط حاد جدًا في الدورة الدموية نظرًا لضغط عصبي كبير كان عليها فماستحملتش و توفت.

باسم المسيح ربنا يقدس روحها.

بس معلش يابونا إنت تعرف حاجة عن المرحومة .

لا والله يابني أنا لقيتها في الكنيسة، كنت بحسبها مغمي عليها، جريت أقيس نبضها لقيتها ماتت.

ربنا يرحمها.

ربنا يرحمها. ابنها لما يعرف هيتجنن و هو كمان لسه خارج من عملية كبيرةأوي و صعبة.ربنا يكون في عونه، مش عارف ازاي بني آدم هيستحمل كل دا. ظروفه صعبة أوي يابونا صلي له .

هو ماله يابني.

بص يابونا الولد دا جاله سرطان علي المخ و عملنا له عملية، و العملية نجحت .بس المشكلة إنه هينسي كل حاجة حصلتله.

يا خبر بجد اللي بتقوله دا يابني.

أيوا يا بونا بجد و هو دلوقتي في العناية المركزة لسه مافقش. هيفوق بكرة علي أقصي تقدير.

طب هما يابني مش من القاهرة صح.

آه مش من القاهرة من المنصورة باين، و كانت والدته بس هي اللي معاه في المستشفي، و بندور دلوقتي علي أي حد يعرفهم أو حتي قريبهم، دا حتي في حساب للمستشفي لسه ماكملشو إدارة المستشفي دلوقتي مش عارفة تعمل ايه بعد ما عرفت إن الأم ماتت و الولد في العناية المركزة .

ممكن أعرف باقي كام من الحساب.

بس يابونا الولد مش مسيحي الولدمسلم و حتي والده مسلم، اسمهأحمد سيف الدين.

لو سمحت أنا سألتكباقي كام من الفلوس ماسألتكش هما دينهم ايه؟أظن يابني إنسؤالي كان واضح صح ؟

صح يابونا .أنا آسف. ممكن تنزل الحسابات تحت و تعرف الباقي كام.

شكرا يابني.

تحرك القس إلي الحسابات ليجد في طريقه ممرضة متلئة الجسد تستوقفه.

ازيك يابونا.

أهلًا يابنتي أنا أعرفك؟

لا ماتعرفنيش.أنا ممرضة هنا و كنت عرفتإن ليلي والدة أحمد سيف ماتت عندكم في الكنيسة. و عرفت إنك كمان بتسأل علي الحسابات .

آه يا بنتي كل دا صح خير.

مافيش كنت عايزة أقولك إن الولد أحمد راسم صليب علي إيده، و كمان راسم آية الكرسي.

اكفهر وجه القس في استغراب شديد، لايعلم لماذا توقفت الكلمات في حلقه؟

طب و دا معناه ابه؟

يابونا إنت بتقول إن والدته كانت عندكم في الكنيسة، و أناكمان لاحظت الصليب في السلسة

اللي لبساها. يبقي أكيد هي مسيحية.

أكيد طبعا يابنتي هي بالفعل مسيحية، بس مش دا المهم. المهم دلوقتي دليني علي الحسابات.

بدت علي وجهها الذهول: كيف رجل دين مسيحي يدفع حساب علاج شاب مسلم؟ يالها من مفارقة عجيبة. توسم القس السؤال في أعين الممرضة و أجابها عنه حتي يرفع عنها الحرج.

احنا يابنتي عباد رب واحد .ربنا مافرقناش عن بعض. دا حتي في القرآن أية بتقول فيمامعناها و ما خلقناكم شعوبًا و قبائل لتعارفوا.

اندهشت الممرضة و كأنها تشاهد عرضًا مسرحيًا قد جذب عقلها.

دلوقتي يابنتي دليني علي الحسابات فين .

و ربت القس علي كتفها و انطلقا الاثنان يطيان طرقات المستشفي طيًا، حتي جاء لها استدعاء علي الجهاز الخاص باستدعاء الممرضات، ليضاء زر أحمر و هو دليل علي أن غرفة العناية المركزة تطلبها. استأذنت من القس. و لكنه سألها ماذا حدث؟ قالت له أن حالة أحمد ابن ليلي المتوفية قد أفاقت تقريبًا. ثم سألها عن مكان غرفته و مكان الغرفة التيسيقيم بها بعد أن يخرج من العناية المركزة؟ حتيقالت له غرفة .47 لا يعلم القس لماذا هذاالرقم قد أثار فيه بعض من المشاعرالمختلطة، و لكنه تجاوزها و أكمل طريقه للحسابات . بعد أن انتهي من دفع باقي الحساب، توجه إلي العناية المركزة ليري هذا الشاب الذي بات إن حُكتقصته لكانت من مصنفات الخيال العلمي، بل قصة لا يصدقها عقل بشري . يري شابًا من خلف الزجاج، يحمل وشمًا، علي كتفه الأيسر صليٌب قدرسم بدقة و حرفية كحرفية عامل خزففي شارع خان الخليلي،تحفٌة مرسومٌة و كأنها قد رسمت خصيصًا له . ياتري ماذا حمل هذا الشاب علي أن يرسم هذا الصليب علي كتفه، بل و في الناحية الأخري قد رسمت آية قرآنية؟حقًا غريب هذا الشاب .ألقي نظرةًأخيرة عليه و اتجه تاركًا المستشفي حتي عاد إلي كنيسته و كل ماحدثاليوم الماضي لا يبارح عقله .أما في المستشفي، فقد اجتمع طاقم الأطباء حول لأحمد بعد لأن لأظهر بعض علامات

الاستفاقة . الكل لأخذ في ترتيب البرنامج الذي سوف يسيرعليه أحمد من علاجبالكيماوي إلي فترة النقاهة و حتي العلاج النفسي؛لأن العلاج النفسي يعتبر من لأهم المراحل العلاجية التي سوف يخوضها أحمد، و التي سوف تحدد مسار حياته الجديد و شكلها . ارتفع صوت المؤشر الذي يوضح حالة أحمد،أخذ في الارتفاع و الصوت يهدر في كل أرجاء الغرفة، و الهرج و المرج يسيطر عليحالة الاطباء و كأن قد لدغتهم حية من أدغال أفريقيا .أخذت النظرات تتبادل بين الطاقم و بعضه،إلي أن قد اعتقدوا للحظات أنه سيفارق الحياة. و لكن معجزة إلهية جديدة حدثت، و هدأ نبضه، و تدخل الأطباء بالحقنو ما يشبهها لتهدئة الحالة، و ما أن استجاب أحمدحتي تراخت الأعصابو تنفس كل الحضور الصعداء بعد حبٍسللأنفس كادأن يطيح بعقولهم خارج رؤسهم . نظر الطبيب المختص بحالتهإلي باقي طقم الأطباء و الممرضات.

الحالة تتحط تحت المراقبة الشديدة 24ساعة . مش عارفين إيه اللي ممكن يحصله . ربنا يستر بجد الحالةلسه لغاية دلوقتي ماستقرتش، و مش عارفين ممكن يحصل إية بعد كده ربنا يستر . دلوقتي أنا عايزطقم ممرضات جنبه مايسبهوش لحد ما يفوق. تمام، تقدروا تتفضلوا و طاقم الممرضات يستني.

خرج الطبيب من الغرفة، و انتظرت الممرضات كما أمر. ولكن الطبيب توجه إلي الغرفة المجاورة له،غرفة المريضة الأخري التي قد أجرت عملية منذ أكثر من إسبوع و تتلقي العلاج الكيماوي . غرفة المريضة هند . هند طالبة في صيدلة عين شمس، أصيبت بسرطان القلب، و منذأن اكتشفت المرض و هي في حالة مغايرة لكل الذين يصابونبذلك المرض الذي يكسر عزيمة أي مريض و يجعله لا يرغب في العيش .إلا هي، قدخالفت الطبيعة البشرية، و ملئت رئتيها بهواء التفاؤل، والحب، و المثابرة، و المضي قدمًافي طريق الكفاح ضد ذلكالمرض اللعين . يدخل الطبيب إلي هند ليجدها جالسة و قد وصل إليها أسلاك العلاج الكيماوي و هي تتلقاه أسبوعيًا . وجدها جالسًةمبتسمة الوجه، حليقة الرأس، تبتسم في خشوع و حياء لا يجتمعان إلا بالملائكة.أفلتت ضحكة من الطبيب في حياء، و هو يراها تقرأ في الإنجيل و ترتل تراتيل عذبة

تمس الفؤاد من داخله . يدخل الطبيب، و يصدر صوتًا دليلًا علي وجوده.

احم احم..أخبار هند حبيبتنا ايه؟

دكتور ازيك عامل ايه؟ هند زي الفل و بتشكرك جدًا.

تضحك هند في شكلٍ طفولِي عذِب، يجبرك علي مقابلة تلك الابتسامة بأخري.

أنا بحبك أوي يا دكتور.

يحمر وجه الطبيب خجلًا:اللهيخليكي يا هند بس ليه يعني؟

عشان إنت طيب أوي يا دكتور و ساعدتني كتير عشان أعدي اللي أنا فيه ده . بجد نا مش هعرف أنسي ليك كل الحاجاتالحلوة دي.

تطلب منه الاقتراب لتحضنه حضن بنت لأبيها، ليبادلهاالطبيب الحضن، و يربت علي كتفها : شدي حيلك كدة يا عروستنا عايزين نفرح بيكي.

هههه و الله يا دكتور أنا مستعدة ماعندكش عريس .

يضحك الطبيب و يبادلها أطراف الحديث.

و الله يا هند لو عندي ما يغلاش عليكي إنتي عارفة معزتك عندي.

شكرًا يا دكتور.

و حينماهم الطبيب بالخروج وجد هند تناديه.

دكتور يا دكتور.

أيوا يا هند في حاجة؟

لا بسكنت عايزة أسالك علي حاجة.

اتفضلي.

هو كان في إيه فيالعناية المركزة من شوية؟أنا كنت سامعة دوشة و أصوات و زعيق و كدة، و الممرضات ماخرجوش لسه من الأوضة في إيه؟

يذبلوجه الطبيب ويجيبها و مسحة من الحزن تغطي وجهه :أهيا ستي إنتي سمعتي. دي حالة

كانت لقدر الله هتموت.

شهقت هند في محاولة لإخفاء تلك الشهقة،إلا أن أنفاسها قد فضحتها.

آه يا ستي كانت هتموت.إسمه أحمد سيف الدين، من المنصورة، والدته توفت إمبارح بليل، و كان عنده كانسر علي المخ، وهينسي كل حاجة حصلتله في حياته. ربنا يكون في عونه. صلي له يا هند و ادعيله.

ظهرت علامات الحزن علي وجهها، و في إعلان منها علي بدأ حالة البكاء،أخذت تبكي لما قد سمعته من الطبيب. يري الطبيب الدموع فيقدملها منديلًا ورقيًا قائلًا:ادعيله يا هند ادعيله، هو محتاج دعواتنا كلنا. خرج الطبيب ليترك هند في بحر دموعها الذي لا ينضب أبدًا، و أخذت تقرأ في الإنجيل لعله يعيد إليها بعض من هدوئها.

و علي بعد أكثر من مائة كليو متر شمال القاهرة،تجلس آلاء في شرفة منزلها المطلة علي الشارع. تتذكر كلمات والدة أحمد، تنتقي كل كلمة من كلماتها، تريد أن تساعده، و لكنها تتذكر خطيبها، تتذكر حياتها المستقبلية معه، لا يمكن أن تربط نفسها بإنسان مستهتر كأحمد، لا يمكن أن تضيع عمرها مع إنسان لا تعلم مصيره ولا حتي هو يعلمه، فكيف تربط نفسها به؟ خطيبها شاب في العقد الثاني من عمره، تخرج من كلية الطب جامعة المنصورة، و الداه يملكان شركة للأدوات الطبية، و كان قد بدأ في إعداد الشقة التي سوف يتزوج بها آلاء .هومنمستوي تعليمي محترم إلي جانب مستوي مالي و أخلاقي يجبر أيًا كان علي تقبل مثل ذلك العريس،إلي جانب ضغوطات والد آلاء عليها ليجبرها علي الزواج منه، فشاب مثل علي لا يأتي في العمر مرتين، بل فقط مرة واحدة، و يجب أن تغتنمها العروسة، فلا مجال هنا لمشاعر أو أي شئ تافه بالنسبة للأب . فالحب شئ مقدور عليه يأتي بعد الزواج بما يسمي العشرة بين الزوج و زوجته، التعود ،الروتين و الملل فكثير من شباب هذه الأيام لا يعلم تلك الحقيقة التي قالها سيدنا علي ابن أبي طالب،) أحبب من تشاءفأنت مفارقه .(لماذا لا يرحبون بفكرة الفراق و إن كان حتمي في بادئ الأمر و نهايته؟ لماذا يمنون أنفسهم ببنت تكون لهم زوجة و هم يعلمون في قرارة أنفسهم إن كانوا

لا يملكون مالًاأو شقّةأو عربّةأو ما شابه ذلك؟ فمصيرهم واحد، هو أن تتركهم تلك البنت من أجل من هو جاهز أكثر: ابن عمها الذي يعمل بالكويت مثلًا،أو شابُبثرُي من أثرياء المنطقة التي تسكن بها،أو مثل صاحبنا، شاب ذو أصول غنية، لا يعبئ بأي شئ،إن كان هناك آخر يحب تلك البنت أم لا؟ الأهم هو إرضاء الرغبة المستعرة في داخلة سواء كانت جنسية أو إشباع لنقص في شخصه. فالحب كما كان في نظر أحمد قبل أن يقع في شباكها ماهو إلا 70 % منه رغبة جنسية من الطرفين سواء كان من الرجل أو المرأة . فالاثنان يسعيان إلي نفس الهدف: النشوة و الانتشاء الجنسي، و إن كانت هناك رغبة أكبر عند المرأة،ألا و هي عاطفة الأمومة، و ال 30 %الآخرين تنقسم إلي 20 % منها سد نقص من كلا الطرفين أيضًاسواء كان عدم الاهتمام، حب للتملك أو غيره، و ال 10 %الأخري هي المصلحة المتبادلة بين كلي الطرفين، كل منهم يبحث عن المصلحة في الطرف الآخر. و هذا ماتوصلت إليه آلاء.إنها لابد أن تغلب المصلحة و الانتفاع، ولا تدع للحب أن يسلب منها ماهي مقدمة عليه من ثراء مادي، وإن كان سيحصل علي جسد آلاء حق انتفاع مدي الحياة مقابل ما سيقدمه إليها من أموال و شقة و عربة . استقرت آلاء علي أنه لا يمكن لشخص مثل أحمد أن يسلبها فرصة عمرها، و قررت أن تمسح رقم والدته، و أن تغلق الخط الخاص بها، و تغيره، و تغيرحتي حساب الفيس بوك الخاص بها؛ لتبتعد كل البعد عن ما يسمي أحمد سيف الدين.

****

الفصل السابع :

كاريزما الموت

قد مر يومين منذ أن كاد أحمد أن يفارق الحياة، لا يشعر بشئ سوي السواد اللانهائي، سقوط سرمدي في بئرٍ ليس له قرار أو حتي نهاية .كل مايتذكره هو الأصوات التي كانت تناجية في همس تارة، و في صراخ تارة أخري .يصم الآذان تارة، لا يعبئ بما يدور حوله .يتذكر و ينادي و يقول في قرارة نفسه

صبو لنا بعض الدم المختمر، و لتسمعونا صرخات المعذبين في أقبية جهنم، و لترقص الجثث المتحللة في انتشاء فان لوسيف،ر و الحق يقال راض.

لا يعلم لماذا تلك الكلمات تتردد في أذنه لسويعات؟ لماذا يشعر دائمًابأن هناك شخص من الجنة قد عين عن طريق الخطأ ليقوم بحراسته و إنقاذه من الموت عدة مرات.؟لماذا ذلك الاحساس عنده؟أيا تري لأنه يسمع أصواتًا و لو كانت خافتةإلي جانبه في كل يوم، و لمدة معينة من الوقت، تناجي روحه، تمسه من أعماق أعماق روحه المعذبة المعلقة بين جنابات الحياة و الموت، بين زوايا الظلم و العدل. روح معلق بين طبقات السماء السبعة، و إن كانواسبعًا فهو بالتأكيد بين الطابق الأرضي من الجنة و الطابق العلوي من الجحيم، الفناء الكوني البعيد، الذي ماكان دائمًا يراه في قناة ناشيونال جيوجرافيك في برنامج الفضاء. لماذا هو المسيطر عليه؟ لماذا لا يتذكر شيئًا؟ لماذا تترتفع نبضات قلبه في تحدي صارخ لعقله؟ التراتيل التي يسمعها كل يوم، و لمدة معينة. لماذا تستمر؟ لماذا يستمر ذلك المعين من اي كان او لم يكن؟لماذا يستمر؟ لماذا الأسئلة تدور في عقله كبقر تلف ساقية لإخراج المياه من أعماق عقله، كتنورة حديدة تدور لتوليد أمواج و فياضانات من التساؤلات؟ لماذا لا يتذكر؟ لماذا؟أين أنا؟أين الوجود الذي دائمًا ماكنت أتسائل عنه؟ أأنا بالفعل موجود الآن أم أنا في البرزخ انتظر؟ و هل البرزخ هذا يجعلنا أن لا نكون في اللاوعي؟ يشعر بسائل يسري في عروق جسده ليعطيه استفاقة مؤقتة لبرهات . يفتح عينيه ليواجه نورًاأبيضًا شديد السطوع، يكاد أن يعميه . يغلق عينيه بطريقة لا إرادية، لا يميز الموجودات من حوله، تتزين عيناه برموش و كأنهاقد تبعثرت علي أركان عينيه . جسده لا يقوي حتي علي أن يحمله أو حتي أنيرفع يده. يشعر بظمأ،أحس وقتها أن حلقه كصحراء قاحلة، و كأنه سيموت

عطشًا، حتي أحس بتدفق للماء في عروقه، و إن كانت ليست عن طريق فمه. فمن أين ياتري أتت تلك الماء و مازال البياض الناصع الذي يعمي الأبصار يغلف الموجودات؟ و بطريقة غير مسبوقة حاول أحمد النطق، و لكن تحجرت الكلمات في حنجرته، و كأن الأحبال الصوتية رفضت كل الرفض أن تتحرك ليصدر أحمد خوارًا، و كأنه ذبيحة يوم عيد الأضحي .ذلك الصوت، تلك الترتيل المغمغمة المهمهمة من طرف لا يوجد في الغرفة، لا يشعر به، و كأن الصوت يأتي من جميع الاتجاهات، و كأنه موجود فقط بلا اتجاه أو مسار يستطيع أن يحدده. يتردد صداه في كل الغرفة و كأن قوانين الفيزياء قد تخلت عن مبادئها و أصبح الصوت بلا مصدر و ينتشر من دون موجات . بدأ البياض الناصع في الانقشاع تارة تلو الأخري، يميز الموجودات. هذا أنا، و لكني لا أعلم أين أو متي أو لماذا أو كيفما يتحدث؟أهو أنا بالفعل؟ بدأ يميز: هذا سرير، هذه امرأة ترتدي ملابس معينة مكتنزة بعض الشئ، و هذا رجل يرتدي بالطو أبيض قد يتضح فيما بعد من هو، و هذه أسلاك تلتفني و كأنها كفني، و هذا و هذا و هذا. و أخذ ينظر إلي كل الموجودات، حتي استقرت أذنه قبل عينه علي الذي أو التي يجلس أو تجلس إلي جانبه.إنه مصدر الصوت، مصدر التراتيل التي حاول أحمد محاولاٍت-كمحاولاٍتأديسون أن يخترع المصباح الكهربائي- لتحديد من هو أومن مصدر الصوت. و لكن كإديسون كانت محاولاته تبوء بالفشل،إلي أن أخيرًا قد نجح في تحديد مصدر الصوت، و لكن ليس ماهيته.أخذيغلق عينيه و يفتحها، و في كل مرة كان يغلقها ثم يعاود فتحها يشعر و كأن عينيه قد خيطت، و في كل مرة يضطر أن يقطع خياطته عنعينيه حتي يستطيع أن يفتحهما. لم يتواني في تجربة ذلك لدقائق قليلة حتي استطاع أن يغلقهما و يفتحهما بكل أريحية .نظر و أخذ يتلفت يمنة و يسري، يقابل الموجودات من حوله باستغراب، لا يعلم ماذا قد حل به. يحاول أن يتذكر أي شئ،أن يقاوم هذا الإحساس المميت بفقدان كل شئ. لا يعلم ألديه صديق؟ألديه أم؟ألديه أب؟ألديه أي كائن حي يهتم بأمره؟ يعاود محاولات النطق، و لكن كل من حوله يثنونه عن ذلك. فيجد الرجل ذو المعطف الأبيض يربت تارة علي كتفه، و يتكلم بصوت خافض يكاد أحمد ألا يسمعه، و كأنه يتكلم من أعماق كهف سحيق النهاية لا

يوجد له قاع أو حتي حوائط. و كأن الصوت الذي يحاول الوصول إلي أذن أحمد في محاولات مستميتة كمحاولات سلحفاةأن تجاري يوسين بولت:أعظم عدائي العالم. و في النهاية، نجح الصوت في اختراق حاجز الصمت، و أن يصل إلي آذان أحمد، و كأنه يحاول أن يرسلإلي أحمد أن هناك رسالة مفادها: لا تجهد نفسك. و لكن أحمد بهزة خفيفة من رأسه قد أوضح للرجل ذو المعطف الأبيض أنه تفهمه، و سكنت حالته، و بدأ في الاسترخاء.أخذ يتذكر، و لكن هناك حاجزًا كحاجز قلندية في فلسطين يمنعه من أن يتذكر شيئًا.شعور غريب يجتاح كل خلية في جسده،إنه لم يعد قادرًا علي التذكر،أو حتي معرفة من يقف أمامه،أو حتي مع من يتحدث،أو حتي أن يعرف اسمه . يعتصر مخه تفكيرًا، يحاول بكل ما أوتي من قوة أن يعرف حتي اسمه، فيفشل، فتسيل من عينيه دمعاًتبسيطةهادئة التدفق،يقابها منديٌلأبيٌض من الشخص الذي يجلس إلي جانبه، الذي لم يحدد هويته إلي اللحظة التي تتفدق فيها دموعه التي ما كانت دائمًاغاليًة و نفسيًة و كأنها ابريز خالص لا يشوبه شائبة . لاتدمع عينيه إلا علي غالٍي، و إن لم يكن في حياةأحمد أي من الأشياء الغالية التي تجعله يبكي. يفتح عينيه في حركة لا إرادية حتي يتبين له من يمسح بمنديل دموعه، ليري كائن ملائكي حليق الرأس،إلا من بعض الشعيرات التي تتناثر علي استحياٍء علي جانبي رأسها. يدغدغ ذلك المشهد ذاكرته و خواطره؛ ليحاول التذكر، و لكن لم يستطع، لم يقدر حتي علي أن يعرف من هذه التي تجلس إلي جانبه؟ تمسح دموع عينيه التي تتدفق تدفق أنهار افريقيا الوسطي . من هذا الملاك؟ تمر عليه ذكرياٌت نزقُة طائشة المعالم، تقابل عقله بابتسامة مستفزة منها، و كأنها تقول له لن تتذكر أبدًا، و لكنه يقاوم، و يحاول أن يتذكر اسمه، ولكن لا شئ . الخواااء، النهايات المستمرة بلا انقطاع، نهايات بلا نهايات تتقابل في منتصف عقله لتقول له لا تجهد نفسك،فأنت الآن بلا ماضي ولا حاضر، و إن كان المستقبل بالنسبة لشخص مثلك أكثر غموضًا. و في إشارة من الرجل ذو المعطف الأبيض إلي المرأة المكتنزة بعض الشئ، قامت من مكانها لتضع في شئ بلاستيكي معلق إلي جانبه الأيمن و موصول بيدهرسغه تحديدًا. ثواني و ذهب أحمد في ثبات عميق، و بدأ البياض الناصع الذي كان يغلف الموجودات في الانقشاع. و

بدأ يحل محله سواد بلا معالم، و كأن النور قد انقطع فجأة عن أواصل عينيه، و كأن عقله تركه في بلاد ليس لها حدود . مريومأو أكثر من يوم، و أحمد في ثبات عميق لا نهائي، لا يعلم متي سينتهي،إلا أن التراتيل التي دائمًا ما يستمع إليها جعلت جسده ينتفض في لإشارة منه أنه بدأ في الاستفاقة . بدأأحمد في أن يغلق عينيه و يفتحها بسهولة نسبية، و إلي حد ما أصبح قادرًا علي أن تخرج من فمه كلماٍت مثل عطشان،أو النور،أو فين. كانت في بادئ الأمر كلمات غير منطقية للذين يجلسون حوله، و لكن بعد بضع أيام أصبح قادرًا علي تكوين بعض الجمل مثل :عايز اشرب ,وطوا النور ,هي فين . كان هذا الأمر يثير استغراب الطبيب المعالج؛ لسرعة تحسن أحمد و استجابته .أما هند التي لم تكد تفارقه فكانت هي مصدر التراتيل التي بدأ في التعود عليها، بل و إدمانها. كانت بعد أن سمعت من دكتور حامد أنه كاد أن يفارق الحياة في يوم من الأيام الماضية، و بعد أن طلب منها الطبيب أن تدعي له بل و تصلي له،أخذت قرارًا كاد أن يمنعها منه الطبيب،إلا أنها أصرت . قررت أنها سوف تذهب إلي غرفة أحمد كل يوم لمدة ساعة، حتي ترتل له بعض من آيات الانجيل، و أن تجلس إلي جانبه . كانت تراقبه في نومه،ففي كل مرة تأتي إلي غرفته تنتصب عينيها علي تفاصيل وجهه الذي كان قد خسر بعض الكيلوجرامات، ليظهر تجاعيد وجهه، و نتوؤات عظام وجهه . كانت تستغرب جدًامن أن شاب مسلم، و يدعي أحمد، نقش الصليب علي ذراعه الأيمن، و آية قرآنية لم تتبينها هند علي ذراعه الأيسر. و ما زاد الطين بلة هو وجود آيه من الانجيل علي صدره كانت قد لمحتها عندما انكشف عنه غطاء المستشفي للجزئ العلوي لجسده لتراها . كانت كل يوم تأتيإلي أحمد و تجر ورائها حقنة الكيماوي، و كأنه كتب عليهأن تكون ملازمته الوفية،قرينه الأنثوي، صديقه الوحيد في تلك الأيام. و بعد عدة أيام، بدأأحمد في الاستفاقة التامة، و أخذ في تمييز كل ما حوله من موجودات مثل: الطبيب و الممرضة ،و حتي هي بدأ في تمييزها بعد أن نبت بعض الشعر ليغطي رأسها، و ليظهرها في هيئةنبيلة من نبلاء العصور الوسطي، تداوي جريح حرب . يترد في عقله بعض الأسئلة :من هي؟ ماذا تفعل هنا؟ هل تعرفني؟ هل أعرفها؟ كل ما قد عرفه عنها أنها مسيحية لما رأي الصليب يتدلي

من سلسة قد علقتها حول رقبتها. لم يعبئ . كل ماكان يريد أن يعرفه من هي؟ من أين جائت؟ و لماذا تبقي إلي جنبه ساعات بعدما كانت تجلس لساعة واحدة، ترتل بعض التراتيل؟ لماذا دائمًا يري تلك الابتسامة العذباء التي تجعله لا إراديًا يبتسم و يعاودها الابتسام في كل مرة ابتسمت له فيها؟تأتي الممرضة لتسحبها من كرسيها المتحرك إلي غرفتها . كان يجلس طوال الليل يفكر من هذه؟و كان هذا السؤال دائمًاما كان يأرقه أكثر من سؤال من أنا؟ و لكن بعد مرور الوقت، وجدها تقضي عنده في الغرفةأكثر مما تقضيه في غرفتها . و في يوم من الأيام كانت قد غادرت الغرفة بعدما جلست معه لثلاث ساعات متواصلة، تقرأ له، و تضحكه أحيانًا، و تتسمر أحيانًاأخري أمامه.

عندما جائت الممرضة المكتنزة سألها بصوت لم يستعد عافيته بعد: يا !انتي اسمك ايه.

اسمي داليا.

طب يا داليا أنا مش فاكر حاجة خالص ولا حتي فاكر اسمي.أنا مين.

تنهدت داليا الممرضة في إشارة منها أنه لم يحن الوقت بعد للبدء في البرنامج النفسي، فلابد من أن ينتهي من برنامج الكيماوي أولًا.

بص أنا ماقدرش أقولك أي حاجة دلوقت، كل اللي أقدر أقولهولك إنك هتبقي كويس، و هتعرف كل حاجة قريب أوي بس انت ماتستعجلش .

نظرت إليه نظرة أخوية حانية، و قد استقبل أحمد كلماتها بهدوء.

طب سؤال تاني.

اسألتك كترت بس يلا مش مهم عايز ايه؟

هي مين ؟

اصدك علي مين؟

البنت اللي كل يوم تيجي تقعد معايا بالساعات و انا حتي ماعرفهاش . دانا حتي ماعرفش اسمها.

آه انت اصدك علي هند؟

إذن اسمها هند. اسم يذيب المشاعر حتي و إن كانت متحجرة مثل مشاعره . تتسع عيناه في

فرحة طفولية لم يعهدها قبلا.

هند اسم جميل أوي. هي مسيحية صح ؟

آه مسيحية.

طب هي بتعمل ايه هنا؟

بص يا سيدي دي كان عندها سرطان علي القلب و الحمد لله عمليتها نجحت و دلوقتي قربت تخلص الكيماوي و تبدأ فترة نقاهة.

ابتسم أحمد لما قد عرفه من الممرضة، و ابتسم أيضا أنها قد قاربت علي الشفاء. و لكن بذكائه المعهود قد غير مجري السؤال .

لا أنا مش اصدي حالتها ايه؟أو هي في المستشفي ليه؟أنا عايز أعرف هي بتيجي الأوضة بتاعتي أنا ليه؟ اشمعني أنا بقي.فلتت ضحكة ذات صدي مرتفع في الغرفة، لم تكن من الممرضة بل كانت من ند الان تقف و لم تكن علي كرسي متحرك و لكن تستند إلي الارض بعكاز قد طلي باللون البمبي الذي يشد الانتباه فور رؤيته .قررت الممرضة أن تتركهما علي سجيتهما و تخرج من الغرفة إلي انتهاء اللقاء.

ايه بقي؟

رد أحمد عليها في ابتسماه اغرورقت عيناه فيها بالدموع التي لا يعرف لماذا سالت او ما مصدرها ؟

ايه .كنت عايز تعرف انا باجي هنا ليك الاوضة عشان ايه؟

بصراحه لا.

امتقع وجه هند لرده الصريح .أنا كنت عايز أعرف إنتي بتيجي كل يوم تقريبًا و لمدة طويلة، و تقعدي جنبي لساعات، و مابتتكلميش أحيانًا و ساعات بتقري لي من الإنجيل و انت عارفة كمان إن أنا مسلم. انتي ايه حكايتك؟

ضحكت هند بطريقتها المعتادة، الضحكة الطفولية البريئة.

يا عم ماتركزش بس أهم حاجة إنك كويس دلوقتي. شد حيلك كده عشان القاعدة وحشة و إنت شكلك مش بتحب القاعدة في مكان واحد، و شكلك كدة مش عارفني أنا .

لم تكمل هند جملتها حتي بادرها أحمد.

انتي هند مريضة هنا في المستشفي؟

الله دا انت متابعني بقي و عارف عني كل حاجة.

لا و الله مش كل حاجة يادوبك أنا عرفت إن اسمك هند و بس مش اكتر.

ماشي يا معلم أنا جايه بس عشان أقولك إن أنا فاضلي يومين تلاتة و أمشي من المستشفي، فكنت عايزة اقعد معاك شوية.

اكفهر وجه أحمد لما قد سمعه و كأنه شعر أنه بالفعل قد ينت بالخطأ من الجنة لتكون الي جانبه. فكيف يكون إلي جانبي ملاك و أنا لم أعهد إلي الملائكية بصفة؟أنا شيطان جامح، هارب من جوانح الجحيم .لاحظت هند نظرة الحزن التي اعتلت وجه أحمد، فبادرته بكلمات تصبره.

بص يا عم ماتزعلش كدة .

تفلت ضحكةبسيطة من بين شفاة أحمد.

بص دا اكونتي هند يوسف بالانجلش ماشي دا رقمي .....تمام يا معلم خليني بقي اشوفك أوحتي أسمع صوتك. ماتنساناش و دلوقتي عايزة اسألك حبة أسأل.

بضحكاتمتقطعة تفتقد إلي العافية: اتفضلي.

انت مين؟ اسمك ايه؟ حكايتك ايه؟

بهت وجه أحمد من هذه الأسئله البسيطة التي لم يكن يعلم منها أي شئ . و لم ينطق بنبت شفة.كل ما فعله هو أنه صمت.

لاحظت ذلك هند و حاولت تغيير الموضوع.

أنا أسفة ماكنتش أقصد.أنا نسيت. سوري يا احمد.

ماتتأسفيش يا هند مافيش داعي للأسف.

و في محاولة منها لتلطيف الجو.

ياعم هو حد طايل ينسي كل حاجة يابني إنت عندك أوبشن جديد مش عند أي حد. دا انت كدة تمام أوي يابختك.

هههههه والله يا هند مش عارف لما تمشي هعمل ايه و مين هيقرالي تاني من الانجيل.إلا صحيح هو فين؟

يابني هو أنا أقدر أمشي من غيره لحظة.

جلست هند و أخرجته من حقيبتها، و بدأت في الترتيل، حتي دخلت داليا الممرضة و انهت اللقاء بكلماتها.

هند دكتور حامد عايزك. و إنت يا عم أحمد شد حيلك بقي عشان تحصل هند و نخلص منك.

و هنا ضحك الثلاثة في عفوية عذبة. و اتجهت هند إلي الطبيب ليخبرها أنها قد كتب لها تصريح الخروج، و لكن ستبقي تحت المتابعة لمدة ليست بالقصيرة. تمردت دمعات في عينيها و أعلنت سقوطها من فوق تلال الدموع المنحسرة في مقلاة عينيها. تقبلت الخبر بضحكتها المعتادة،و أخذت طريقها مرة أخري لغرفتها. استدعت الممرضة داليا خصيصًالثواني معدودة، و أقبلت داليا إلي غرفة هند و دار الحوار بينهم كالتالي.

ايوا يا هند محتاجة حاجة؟ مش محتاجة مساعدة إني أرتب معاكي حاجتك؟

لا شكرًا يا داليا أنا عايزة منك حاجة تانية.

قولي يا حبيبتي عايزة إيه.

أنا عايزاكي توصلي الورقة دي لاحمد.

مدتيدها الصغيرة إلي كفييداليا و أعطتها ورقة مكتوبة، و لكن في استغراب من داليا : اية الورقة دي يا هند مكتوب فيها ايه؟

مش عايزاكي تقرأيها حتي يا داليا لما امشي من المستشفي و أحمد يخلص كيماوي و يتكتبله خروج .لازم تديها له تمام.

حاضر يا داليا هبقي اديهاله. المهم دلوقتي جهزي شنطك و حاجتك يلا.

حاضر.

أسيبك أنا بقي عشان عندي حالة لازم اروح لها.

اتفضلي .

و أغمضت عينيها في لحظة من اللحظات التي يكون قد تغلب فيها القلب علي العقل، و ضغطت علي شفاها ،و أخذت تلملم كل مايمت لها بصلة في هذه الغرفة.

في مكان ليس بعيد عن غرفة هند، كان أحمد يحاول أن يتذكر و لو بضع ذكريات، و لو حتي اسمه. لماذا لا يصرح له الطبيب بكل شئ عن حياته؟ فهو حتي لم يصرح له بإسمه. و هو في تفكيره العميق، سمع طرقات علي بابا غرفته و بصوت تعلوه الهزيمة سمح للطارق بالدخول. كان الطبيب قد جاء ليجلس معه قليلا.

ازيك يا بطلنا عامل ايه؟

الحمد لله تمام يا دكتور كويس. بدأت أحس بتحسن خفيف .

الحمد لله طمنتني. دلوقتي احنا هنتجهز لمرحلة جديدة في حياتك. الكام يوم الجايين دول هيتبني عليهم كل شئ في حياتك، من ساعة لما تخرج من المستشفي لحد عمر طويل إن شاء الله.أهم حاجة عايزك تتعامل مع الدكتور النفسي كأنه صاحبك و أخوك و كل عيلتك، و لو لمدة الكام يوم الباقين ليك هنا تمام يا بطل.

تمام يا دكتور. هعرف حياتي كده ولا لسه؟أنا حاسس إني مستعد .

و أنا كمانيا بطل عارف إنك مستعد. هتعرف أنا خبيت عنك كل ده ليه بسو بعدين هتشكرني.

شكرًا ليك يا دكتور قبل أي حاجة إنت أنقذتني بعد ربنا.

أنا ماعملتش غير الواجب. شد حيلك يا بطل. كمان ساعة او اتنين هتقعد مع الدكتور مصطفي،أخصائي العلاج النفسي. حضر نفسك يا بطل.

حاضر يا دكتور.

و انصرف الأخير، و بقي أحمد في غرفته يحارب الظنون و الأفكار التي بدأت تأخذ حيز الفراغ الذي يحيط به من كل جانب . جلس يفكر من أنا؟ هللي عائلة؟ ما اسمي؟ يا تري ما شكل والدتي؟ هل هي موجودة؟ و إن كانت فأين هي الآن؟ هل يا تري لدي أب أم هو ميت؟ و أن لم يكن فأين هو الآن؟ هل كان لدي أصدقاء؟أم عانيت الوحدة طوال الطريق، طوال رحلة الحياة التي قد خضتها، و التي سوف أخوضها لاحقًا؟ هل سأبقي مع روحي حتي أكمل ما سوف أبدأ؟ هل ياتري سوف أري هند مرة أخري أم ستتبخر مع رحيقها المغادر للمستشفي؟ يا الله لا تتركني و أنا هكذا.فأنا لا أعلم البداية حتي أخاف من النهاية،فأنا علي شفا أكثر من حفرة و لا أعلم إلي أين سيؤدي بي هذا الطريق؟ كان قد مرمن الوقت ساعة كاملة و أحمد يجلس في غرفته ينتظرو يفكرو كأنهما وجهان لعملة واحدة: الانتظار و التفكير .من منهم يكون إله للآخر؟أم الوقت هو سيد الإله في تلك المعادلةصعبة التحليل. طرقات خفيفةعلي بابا الغرفة. يخرج أحمد صوتًا واهنا ليأذن للطارق بالدخول.

ازيك يا بطل عامل إيه ؟

أهلًا و سهلًا مين حضرتك.

بص يا سيدي من النهاردة ممكن تعتبرني أي حاجة في الدنيا إنت عايزها: صاحبك،أخوك و لو حتي البنت اللي بتحبها .

انفرجت ضحكة خفيفة من بين شفتي أحمد.

أنا يا سيدي دكتور مصطفي الشوري، مختص العلاج النفسي هنا في المستشفي. ها بقي جاهز عشان نتكلم شوية مع بعض.

أيواأنا جاهز و مستعد لكل اللي هقوله يلا نبدأ.

استني شوية يا عم اهدي بس.أنا مش هعرض الأسئلة.إنت اللي هتعرضها و أنا هاجاوبك.

ماشي يلا نبدأ.

قبل مانبدأ لازم تعرف إنك اللي في ايدك تبتدي حياتك أو تنهيها يا بطل. علي العموم نبدأ

بالأساسيات.

اسمي ايه؟

انت اسمك أحمد سيف الدين.

يعني أنا مسلم.

أيوا مسلم يا بوحميد.

طب ايه الصليب المرسوم علي دراعي دا و آيه القرآن؟ عرفت هي موجودة ليه؟

نخلي الأسئله الصعبة دي بعدين شوية.

ماشي أنا منين؟فين عيلتي؟ فين أصحابي؟أنا عندي كام سنة؟ في كلية ايه؟

إنت يا احمد من المنصورة . كنت عايش فيها طول عمرك إنت و والدتك، و والدك كان علي طول مسافر بره في الخليج، و هو علي وصول لمصر عشان تتقابلوا تاني. للأسف يا أحمد مافيش حد من أصحابك قدرنا نوصله. كل شئ كان متعلق بيك و بحياتك القديمة يا أحمد انتهي، ماتحولش تفكتر، هنحاول مع بعض نبني حياتك الجديدة، اللي ناس كتير أوي نفسهم يبدأوا من الصفر زيك كدة عشان يصلحوا أخطاء زمان.أنا عارف إنك ممكن تكون زعلان لأنك حاسس إنك مش عندك ذكريات سواء للطفولة أو المدرسة أو حتي السنة اللي انت قعدتها في الجامعة. انت يا احمد في كلية صيدلة، في سنة أولي، و عندك عشرين سنة.أما بخصوص والدتك فهي اسمها ليلي يوسف.

طب هي فين؟

مش عارف أقولهالك إزاي يا احمد. والدتك توفت أثناء لما كنت في العمليات.أنا عارف إن دا خبر صعب عليك، بس انت قوي، و أنا عارف كده كويس.إنت ما كنتش ملتزم دينيا يا أحمد، بس في آخر أيامك بدأت تقرب من ربنا، و بدأت تعيش حياتك علي الطريق الصح.

أسفر كلام الطبيب عن فيضان من الدموع قد تخطي الجسر الذي صنعه أحمد لنفسه. قد علم الآن، ليس لديه أم ترعاه،أباه كان بعيدًا عنه طوال تلك الأيام و السنين الفائتة. كيف سيقابله مرة

أخري؟ لا يعلم.أخذ صوت بكائه يعلو، و أخذ يجهش بالبكاء في غير مبالاٍة للطبيب الذي حاول مرارًا و تكرارًاأن يهدأه، ولكنه استطاع أخيرًا. و هدأ أحمد، ولكن الأفكار في جوانب عقله تستعر نارًا تارة، و جليدًا تارة أخري.أكمل الطبيب كلماته التي قد كانت نزلت علي عقل أحمد كحمم لبركان كان قد انفجر منذ ثواني .

في خبر حلو يا احمد و عايزك تركز عليه شوية. في الطب النفسي في قاعدة بتقول إن المريض بفقدان الذاكرة بيبقي تذكره للأحداث القديمة أسهل و أسرع بعكس الأحداث الجديدة بعد فقدانه الذاكرة. يعني انت ممكن في يوم من الأيام ترجعلك ذاكرتك يا احمد و دا اللي هنحاول نشتغل عليه مع بعض. اتفقنا يا ابو حميد. و بعدين ياعم أنا أهو اعتبرني صاحبك، و لو عايز أي حاجة تقولي.

أوما أحمد رأسه في قبول لعرض الطبيب السخي. فهو لا يستطيع أن يرفضه و هو لا يملك من العالم اللآن سوي والده و رقم تيليفون هند. ليس لديه أي شئ يمت بحياته السابقة.

دلوقتي يا احمد والدك هيوصل بليل أو الصبح بالكتير أوي. عايزك تسامحه و تبتدي حياة جديدة معاه. انت ماكنتش تعرف ظروفه.

يتحسس أحمد الندبة علي حاجبه و يفكر، يا تري من أين لي بهذه؟ و لكنه يتذكر أنه لا يتذكر .

يكمل الطبيب كلماته :انت يا احمد عندك عرجة بسيطة في رجلك ماتبانش خالص . ماتحاولش تفكر فيها عشان ماتديهاش أكبر من حجمها. و قبل ما تسأل جت لك منين احنا يا احمد مش عارفين عن ماضيك كتير. والدتك الوحيدة اللي كانت عارفة عنك كل حاجة، و بعد ما فقدناها مبقاش عندنا مصدر للمعلومات. عمرنا ما هنبني حياتك علي كدب يا ابو حميد. ثق جدًاإنك دلوقتي علي استعداد إنك تعيش حياة طبيعية، بس انت تقوم لنا بالسلامة يا بطل . دلوقتي أسيبك شوية مع نفسك، و مش عايزك تفكر في أي حاجة سلبية. فكر إن دا ابتلاء من ربنا و إن شاء هتعديه أقوي مما كنت. يا احمد فكر إن اللي حصل دا عشانك إنت، و ربنا إن شاء الله مش بينسي حد، ولا بيبتلي حد إلا عشان هو بيحبه. افرح يا احمد ربنا بيحبك.

كانت لكلمات الطبيب وقع غريب علي مسامع أحمد. و كأن هذه الكلمات تتسرب إلي وجدانه،إلي أعماقه، و كأنها ترتسم علي جدران عقله كي تكمل ما فقده . خرج الطبيب، و لم تخرج كلماته من عقل أحمد. كان يومًا مرهقًا، ليس جسديًا و لكن نفسيًا. سرح أحمد في المرآة التي تقبع في إحدي زوايا الغرفة .أخذ ينظر إليها فيتمعن غريب، و كأنه يخاطب من يقبع في الجهة الأخري للمرآة، و كأنه شخص آخر.أخذ يتحاور معه و كأنه صديق له، يغضب أحيانًا، و يضحك أحيانًا،و يصمت أحيانًا، و يغفوأحيانًا. و أخيرًا غفا في غياهب الدواء القوي الذي كان مجبر علي أخذه .يقف علي حافة جبل قد اعتلاه بعض الثلوج، يتطاير الوشاح الذي كان يرتديه، يتنشق نسمات هواء عذباء ذات برودة تتسل إلي خياشيمه لتعلن احتلالها لخلاياه. يغلق عينيه في انتشاء، و يهم بالقفز،إلا أن يدًا قد أمسكته من خلفه، و صوت أنثوي ناعم قد تخلل أذنيه .و في جملة مقتضبة قالت :لا يا احمد لسه المشوار طويل .خلي بالك أنا معاك علي طول و جنبك، اوعي تنسي .يفتح أحمد عينيه، ليجد نفسه في غرفة المستشفي، يرقد علي سريره، و تلتفه الأسلاك مثل كفنه، يصحو علي يد رقيقة كانت ما تحاول إيقاظه، و ها هي تفعل، ليخرج صوت ضعيف، صوت من استيقظ لتوه من النوم، ليجد داليا الممرضة تقف إلي جانبه و تحدثه بصوت رقيق يغلبه أيضًا نعاس.

اصحي يا احمد والدك وصل امبارح بليل و مارضيش يصحيك، و استني لحد الصبح، و هو قاعد في الأوضة اللي جنبك. كان بايت طول الليل هنا جنبك علي الكنبة، بس مع صلاة الفجر صحي، و صلي، و جهزناله أوضة تانية جنبك، و هو دلوقتي عايز يدخلك .

ماشي يا داليا دخليه.

قالتبصوت أنثوي جرئ مغايرًا لما كانت تتحدث به من قبل: اتفضل يا أستاذ سيف.

يطل رجل في العقد الرابع من عمره، قوي البنية، مازالت تظهر عليه علامات الشباب إلا من خصلات بيضاء تظهر علي استحياء في جوانب شعره الأسمر سمرة الليل. دخل الرجل يحنو رأسه في مشهد لا يوصف، و كأنه مشهد في فيلم من إخراج جيمس كاميرون. ليقف أمام ابنه و كأن

الموقف اختلف، و تبادلت الأدوار، ليصبح الأب الابن، و الابن الأب، و كأنهما يحاولان أن يستمدا القوة و الايمان من بعضهما البعض. عندما رأي أحمد ما يدعي والده ومضت في رأسه صورة ما،أو ربما مشهد عربة، و ضحكات، و حب عائلي يجمعه بهذا الرجل. و لكن في أسرع من الثانية انتهي المشهد، و أخذ ينظر إلي هذا الرجل في استغرابو حب، يحاول أن يخرجه و يظهره إليه،و إن كان لا يعلم ماذا يجمعه به من ذكريات؟ هل هي سعيدةأم حزينة؟ هل كان نعم الأب؟ هل كان نعم الابن؟أسئلة في كلي عقليهما يتقاذفانها بين بعضهم الآخر، ليكسر الصمت حركة خفيفة من الأب باتجاه الابن، و في يده قد أمسك بما يشبه صورة ليخرجها إلي وجهه و يضعها أمام أحمد . يجلس بجانبه و ينظر كل منهما الآخر إلي الصورة، و بدءا في البكاء. و لم يكن إلا من والد أحمد سوي أن تكلم بتلقائية و عفوية طفل في السابعة من عمره. لم يكن علي لسانه سوي كلمة واحدة "أنا آسف يا احمد،آسف.أوعدك مش هسيبك لحظة تانية في حياتك، هبقي جنبك علي طول سامحني يابني سامحني ." و ماكان من أحمد إلا أن رد عليه "مسامحك ياوالدي "

استمر الوالد و الابن في البكاء، و اخذ الأب يتمتم بكلمات يغلبها الدموع" سامحيني يا ليلي"، و نظر إلي صورتها التي أحضرها لابنه و غاصا الاثنان في نوم عميق، كل منهما يحمل تعب الآخر.

****

الفصل الأخير :

الطريق إلي الحياة

يجلس سيف الدين بجانب ابنه بعد ليلة عصيبة علي كلاهما، يتأمل في وجهه الذي كست طبقة من الوهن و التعب علي أرجائه. يتمعن و يتسائل لماذا؟ لماذا قد تركتهم؟ لماذا لم أتمسك بعائلتي؟ لقد أعمتني النقود و ما خلافها. تركت عائلتي. حتي لم أعد أجد منها ما يقيمني أو حتي يساعدني. زوجتي التي كنت أحبها، و حاربت المجتمع و التقاليد و أهلي، و تخطيت كل العقبات حتي تزوجتها، تركتها للوحدة تنهش في ثنايا عقلها و جسدها ووجدانها. آثرت جمع النقود بدلًا من إنشاء عائلة تحبني و أحبها. يتذكر الحادثة التي وقعت عندما كان أحمد عمره 10سنوات. يتذكر عدم انتباهه لانزلاق العجلة الأمامية للعربة، صوت الاصطدام.أحمد يصرخ من الألم، قدمهقد تهشمت تمامًا يتوقف عقله و قلبه في آن واحد، يذرف دمعات ساخنة علي وجنتيه و يكمل. نظر إلي ابنه.أين انتي يا ليلي حتي تكوني بجانبي في تلك المرحلة الصعبة؟ تركتيني و أنا لا زلت أحبك. و لكني متجمد المشاعر، قاسي القلب، لا أظهر مشاعري بسهولة. حسبتك تعرفي منذ أن تقابلنا في فرح صديقي مينا و رأيتك، لم يهمني وقتها ما دينك؟أو ما عقيدتك؟ فقط أحببت حب عشاق القرون الوسطي: قيس و ليلي، لم يصلا إلي مستوي الحب الذي أحببته لكي. تقربت منك يومها و سألتك عن اسمك، لم تجيبي، و حسبتني أني أعاكسك. احترامك، هدوئك، صلابتك، قوتك، و مرحك، كلها صفات اكتشفتها من الوهلة الأولي. لم أنزل عيني و لو دقيقة واحدة من عليكي. كنتي قد تملكتي مني. سألت الجميع عنك. لا أحد يعرفك. كنتي تجلسي في جانب العريس من المعزومين. تيقنت أن الوحيد الذي قادر علي مساعدتي هو العريس مينا. بعد انتهاء العرس و شهر العسل توجهت إليه . سألته و استوضحت منه و طلبت منه أن يخبرها أنها تعجبني .اشتاط غضبًا في بادئ الأمر، و لكن عندما وجدني جاد هدء، و قرر مساعدتي رتب للقاء يجمع بيننا دون أن تعلم هي. كانت عبارة عن غذاء للاحتفال بالزواج مع مينا و زوجته و

جائت، عرفت اسمها، تيقنت أنها هي المختارة، حاولت التقرب منها، و لكن سدٌمنيعٌ،حصينةٌ تحصن القلاع، تبعد أي كائن من الاقتراب إلي أسوارها، ترفض و تتمنع تكررت اللقاءات . و أخيرًا فهمت ليلي أني أحبها حقًا. لم تدرِ ماذا يحدث لها؟ تراها تنجذب إليه،تُعجب بشخصيته المرحة، و إن كان صمته كان زاد غموضه. هي الأخري عندما ألقت عليه النظرة الأولي في فرح ابن عمها مينا، انقلبت لأرجاء قلبها رأسًا علي عقب. علمت أن هناك شيئًامميزًا عند ذلك الشاب صامت ذو هيبة. تستطيع أن تسحر أجمل الجميلات عندما حاول التقرب إليها. في الفرح ضحكت ضحكة الانتصار، و لكنها رددته. قطعت كل السبل المؤديةإليها، و لكن بعد عدة اللقاءات التي جمعتهم، لم تتواني في إظهار بعضًا من الاعجاب له، تعلم المخاطر التي تلف بعرقتهما من كل جانب. حاربت معه تقاليد المجتمع حتي تزوجا في نهاية الأمر بعد تلك الموجة من الذكريات التي فاضت في وجدان سيف نظر إلي ابنه ليجده قد استيقظ و دار الحديث فيما بينهم.أحمد .نعم يا بابا .

ياه كلمة بابا دي وحشتني أوي منك يا حبيبي .ربنا يخليك ليا .كنت عايز آخد رأيك يا احمد في حاجة.

خير يا بابا قول .

أنا عايزك ترجع معايا تاني تسافر، تبعد عن كل حاجة وحشة كانت هنا، تبتدي حياه جديدة، تعرف ناس جديدة تمحي كل حاجة وحشة كانت ليك هنا، كل ذكري مؤلمة خلتك تحزن في يوم، كل حاجة انت نسيتها يا احمد أنا عارف، بس وجودك هنا مش هيفيد، لا دا هيضر يا احمد، و أنا اتفقت كمان مع الجامعة هناك و رتبت ليك السفر قولت ايه.

أخذ أحمد يفكر في كلام والده، فرصة جديدة للابتعاد عن كل شئ، للابتعاد عن حياتي السابقة، لبدئ حياة خاصة بي لأاكون ملك نفسي، و أصنع نفسي، و أن اختار الحياة بدل الموت .الآن علمت معني كلام دكتور مصطفي :انت اللي بتختار.

في حركة مفاجئة و بصوت يملؤه التحدي قال :موافق يا بابا.

تعجب سيف من سرعة استجابة ولده علي العرض الذي قدمه إليه، و لكن فرحته كانت أكبر من أن ينغص عليها شئ آخر .ابتسم في ود و قال له :تمام يا احمد، أول ما الدكتور يكتب ليك خروج من المستشفي هنسافر علي طول .و أنا كنت اتفقت معاه كمان علي الاجرائات، و ايه أحسن المستشفيات اللي نقدر نكمل علاج فيها .ابتسم كل منهما الآخر، و خرج الأب إلي الغرفة المجاورة، و عاد بألبوم للصور يجمع أحمد و سيف و ليلي.

دي بقي هدية رجوعلك ليا بالسلامة حاجة ليك إنت يا احمد هترجعلك حاجات حلوة كنا عايشها مع بعض، حتي لو مش فاكرها بس هتعرف علي الأقل إنها كانت موجودة.

نظر إليه أحمد في ود و حب غير مصطنعين بالمرة، و هز رأسه في امتنان .و خرج الأب ليري ماذا كان يفعل.

مرت الأيام و أحمد غارق في الالبوم الذي منحه إياه والده، لا يتذكر، لكنه يضحك في امتنان و ود .

جاء الطبيب إلي غرفته و طرق الباب، سمح له أحمد بالدخول.

ازيك يا ابوحميد عامل ايه النهاردة .

أحسن بكتير أوي يا دكتور تمام الحمد لله.

كويس جدا، أنا خلاص هكتبلك علي خروج، و اتفقت مع المستشفي اللي هتسافر عشان تتعالج فيها برة، و كل حاجة جاهزة .انت هتبقي تحت المتابعة، و مش عايزك تتشاقي، افتكر كلام دكتور

مصطفي كويس إن احنا اللي بنصنع واقعنا مش حد تاني .حياتك انتي اللي اخترتها، و انت اللي هتعيش بيها، ربنا يوفقك يابني.

شكرا يا دكتور، لولاك بعد ربنا كان زماني ميت .شكرا ليك يا دكتور .و احتضنه أحمد في حضن أبوي، و جو قد أسعد الطبيب قبل أحمد .إن ذلك الشاب الذي قد جاء قبل العملية ،يتنكر لوجود الخير في الحياة أصبح الآن واحد من أصحابه.

دخلت داليا الممرضة إلي غرفة أحمد بعد أن خرج الطبيب بثواني.

ازيك يا احمد عامل ايه دلوقتي؟ أنا سمعت إن الدكتور كتب ليك خروج .

اه يا داليا هخرج بكرة إن شاء الله.

الحمد لله يا احمد بص، في كذا موضوع لازم أكلمك فيهم .

في ايه اي داليا خضتيني.

ماتتخضش ولا حاجة، أول حاجة لو عايز تعرف إيه سر الصليب اللي علي دراعك و تعرف مين كمان دفع ليك فلوس المستشفي لازم تروح للعنوان ده.

مدت يدها بورقة و أعطتها له .فتح الورقة بتوتر، العنوان كنيسة القديس ماريجرجس شارع ..... القس ....

ايه دا يا داليا؟

دا يا احمد لو عايز تعرف ايه سر الوشم اللي علي دراعك .أما الحاجة التانية و هي الورقة دي.

و ايه دي كمان؟ دي ورقة من هند طلبت مني اديهالك قبل ماتخرج من المستشفي و إني مابصش فيها.

تعجب أحمد من كل ذلك، و لكنه في حركة اطمئنان مصطنعة هز رأسه .ذهب إلي غرفة الطبيب يستأذنه في الخروج لمدة ساعة من المستشفي .وافق الطبيب بابتسامته المعهودة، و سأل داليا عن العنوان بالضبط حتي يتسني له الذهاب إليه .خرج متسارع الخطي، يطوي الأرض طيا، يحملق في الوجوه .يا تري من ذلك القس؟ و لماذا قد يعرف عني شيئا؟ يا ربي الهمني الصبر و الهداية و تحمل الانتظار .يلقي نظرة أخيرة علي الورقة التي أعطتها له داليا، يحملق و يستوقف أحد المارة طالبا عونه في إيجاد ذلك العنوان، دله عليه و أشار له أين تقع الكنيسة .تحضر لما سوف يواجه، ماذا يعرف عني؟ و كيف عرف عني؟ لا يهتم، ولا يعطي بالا، المهم أن يجد ما يبحث عنه . دخل الكنيسة في احترام طبيعي، رهبة المكان تجعله يتثاقل الخطي، يتردد في الدخول، و يفكر في الرجوع مرة أخري لتحضير شنط السفر للانطلاق إلي الخارج، لكنه وجد يد تربت علي كتفة في حنان .التفت للخلف فوجده قس يقف أمامه و يتدلي من صدره صليب كبير .بادره بالحديث قبل أن يبدأ.

انت احمد صح ؟

تعجب أحمد من كيفية معرفة اسمه، و ظهر التعجب و الحيرة علي وجهه.

ايوا انا احمد عرفت اسمي منين؟

أنا كنت جيت المستشفي يا احمد و شفتك و انت في العناية المركزة .أخبارك ايه دلوقتي.

أنا الحمد لله تمام، و صحتي بدأت تتحسن.

الشكر للرب كويس يا احمد، أنا فرحتلك أوي، و الله اعلم أنا كنت بصلي ليك و بدعي ليك اد ايه.

ربنا يخليك .أنا كنت جايلك النهاردة الصراحة عشان أعرف منك شوية حاجات.

اتفضل يابني قول .

في المستشفي في ممرضة مليانة شوية ادتني عنوانك، و قالتلي روح له لو عايز تعرف الوشم اللي علي دراعك دا ليه؟ و لو عايز تعرف مين دفعك فلوس المستشفي .مين اللي دفعلي فلوس المستشفي.

ضحك القس في حنان أبوي و قال له :أنا يا احمد، كنت هتترمي في الشارع و تموت عشان فلوس، و بعدين دي مش فلوسي دي فلوس ناس متبرعة للكنيسة عشان الخير، و انا استأذنتهم، و هما رحبو جدا .انت متفاجئ ليه كده؟ احنا اخوات يابني، و بعدين أنا أول واحد شاف والدتك ربنا يقدس روحها قبل ماتموت.

هنا اقفهر وجه أحمد و علت بعض الدمعات خده و همت بالنزول، إلا أن منديل القس قد استقبلها بدلا من الأرض.ماتعيطش يا احمد أنا هقولك الوشم دا جالك منين، مع إني ماعرفكش قبل كده بس استنتجتها الصراحة .انت والدتك يا احمد كانت مسيحية، و توفت هنا علي الكنبة دي، توفت و هي بتدعيلك، و هي بتصلي ليك، توفت و هي ماسكة الصليب .أمك يا احمد ماتت و هي بتحبك، اوعي تقلق، هتلاقيها جنبك في كل مكان، و في كل حته، روحها مش هتسيبك تضيع أبدا، هتساندك طول حياتك، و حتي ساعة لما تموت .أوعي تنسي والدتك يا احمد .والدتك هي الشئ الوحيد و الانسان اللي وقف جنبك طول حياتك، و دا كان باين عليها . داليا الممرضة مارضتش تتكلم معاك عشان عارفة إنك ممكن تحس إن دي معلومات غلط . الدكتور كان موصيها تقولهالك، بس صدقني داليا حكتلي والدتك كانت بتعيط قد إيه و بتدعيلك أد إيه.

و في وسط كل هذا، كان أحمد يجهش بالبكاء .بكي و كأنه لم يبكي في حياته قط .خارت قواه علي الأرض و جلس .انتظر أن تنضب عيونه من الدموع، انتظر أن يكون لدموعه نهاية. خرج أحمد هائمًا علي وجهه.أراد ألا يعود إلي المستشفي الآن، قرر الذهاب في جولة.أخذته الشوارع و

الأذقة تبعده تارة و تقربه تارة، حتي سمع آذان المغرب يضوي في سماء القاهرة. المآذن تتلألأ، يصدح أصواتها في سماء القاهرة الملبدة بالغيوم. مس هذا النداء قلبه،أحس بقشعريرة تسري في جسده، تتغلغل في ثنايا عقله، تبث الرهبة و الطمأنينة في آنٍواحد. اقترب من جامع صغير بعض الشئ، وقف أمامه، يرمقه نظرات حادة خائفة، تتنقل من جهةإلي جهةأخري. تتسمر عيناه كلما وجد شخصًا يدخل إلي الصلاة. وجد نفسه تجره إلي باب المسجد، هو حتي لا يعلم الوضوء، لا يعلم حتي حركات الصلاة، لا يعلم ماذا يجب أن يقول. ارتفع الآذان مرة أخري.أخذ جسده يرتجف. وقف حتي أحس بكتف رجل كبير قد أبيضت لحيته، و أخذ العمر منه ما أخذ، يربت علي كتفه، و يشد علي ساعديه، و يقول له: وصلني يابني جوه عشان أصلي المغرب، يلا شد حيلك عشان ماتفوتناش الركعة الأولي .طمأنينة سرت في عقله قبل جسده و دخل المسجد. بمجرد أن تلامست قدماه بالسجاد المفروش، خارت قواه، و استسلم للصوت العذب الذي يقرأ القرآن.أحس أن ذلك الشئ هو ماينقصه طوال حياته. لماذا كل الناس تقول لي دائمًاأن حياتي كانت فارغة غير ملتزم؟ لماذا؟إنهجميل يذيب الروح.أجلس الشيخ الكبير، و توجه إلي مكان الوضوء. راقب حركات المتوضئ الذي بجانبه، و خرج بعدها إلي الصلاة. وقف في الصف و هو يترقب كل شئ، يحاول الاستماع إلي كل همسة، يراقب حركات المصلين، يتغزل في صوت الإمام، حتي كل حركة كان يقوم به المصلون يقلدها في شٍئ من المتعة العمياء.أنهي الصلاة، ووجد الشيخ الكبير يهديه هدية،ألا و هي دعاء صاف، لا تشوبه شائبة، صاف من كل معاني الرياء و النفاق) .ربنا يهديك يابني و يحافظ عليك.(أخذ أحمد تلك الدعوة و كأنها وجهته القادمة. سار ناحية المستشفي، و قابل والده بعد أن ظهر عليه بعض علامات التوتر.

كنت فين يا احمد كنت فين؟

كنت في مشوار يا بابا ماتقلقش.

الحمد لله طمنتني.

بابا!

نعم يا حبيبي.

أنا عايزك تعلمني الصلاة.

تجمدت ملامح سيف، و لكن جسده قد اقشعر لما سمعه من ابنه أحمد. هز رأسه في موافقة، و ضمه إلي صدره .علي الجانب الآخر من الجمهورية في الشمال. كان هناك خطبة آلاء، تبتسم تارة، تذهب إلي عالم آخر تارة. هل ما فعلته كان صحيحًا؟ هل كان تركها لأحمد في ذلك الوقت سليمًا؟ هزها علي و همس في أذنها: مالك ؟

مفيش يا حبيبي.

طيب يا حبيبتي لو عايزة ننهي الموضوع دلوقتي خلاص.

لالالا عادي يا علي كمل احنا مش بنفرح كل يوم .

ربنا يخليكي ليا.

ابتسمت ابتسامة صغيرة مصطنعة، و ذهبت إلي أفكارها السوداء الخاصة بها، و إن كانت الخطبة قد لعبت علي وتر قديم: المال و مايستطيع أن يفعل. طردت تلك الأفكار، و نظرت إلي علي، و أكملت استماعها إلي الأغاني التي تجري في خلفية الخطبة.

بعد أن انتهي أحمد من صلاة العشاء مع والده قال له : يلا يا احمد عشان الطيارة بكرة الصبح و عايزك تنام كويس عشان نلحقها.

حاضر يا بابا بس احنا هنروح فين؟

هنروح الامارات إن شاء الله. يلا ننام عشان التاكسي جاي بكرة بدري.

اتجها الاثنان إلي غرفهما، و في الصباح الباكر، جائت داليا لتوقظه، و بعد أن استفاق حدثته للمرة الأخيرة : مش عارفة هنساك ازاي يا واد إنت. ربنا يحفظك، و ماتنساش ورقة هند ضروري يا احمد.

ماتقلقيش يا هند ربنا يقدرني و أعوضلك اللي عملتيه ليا.

أنا ماعملتش إلا الواجب. خد بالك من نفسك.

ذهب أحمد إلي كل الطاقم الذي عمل علي علاجه. احتضنهم جميعًا،و طلب منهم الدعاء. و بعدها اتجه إلي الطبيب، تبادلا الأحضان، و شد من أزره. و بعدها انطلقا هو وسيف إلي المطار. استقلا الطائرة، و وضع أحمد السماعات في أذنيه. انتظر اقلاع الطائرة، و هو لا يفكر إلا في القرآن الذي يستمع إليه، فراغ و طمأنينة عذبة احتاجها منذ فترة . علي بعد أحياء من المطار، كانت تقبع هند في فراشها الوردي، تفكر فيه، تتسارع دقات قلبها كلما تفكر فيه. لماذا هو؟ لماذا؟أهي شفقة؟أهي إحساس بالوحدة قد قتلها في المستشفي مما جعلها تتعلق بأقرب شخص يقع عينيها عليه؟ هي التي لم يسبق أن تبادلت مشاعر مع أحد، لما كانت تجد من الشباب غيرالمبالي، أو بالمعني الأصح التافه،كانت لا تعطي لهم بال. و لكن أحمد مختلف، تعلم عاقبة أمورها، شاب مسلم و فتاة مسيحية. تقاليد المجتمع و أعراف عائلتها، و إن كانت متفتحة كثيرًا،إلا أنها قد تواجه صعوبات جمة في مصارحتهما.أشعرت تجاه بذلك الحب لأنها تعلم آلامهلأنها مثله: لا فهي ليست من النوع الذي ينخدع بالمظاهر رغم طيبتها المتناهية،إلا أنها لديها حس أنثوي دائمًا ما يكون علي صواب. تعلم ماذا يقول الذي أمامها. هل هو صادق أم كاذب. طيب أم يصطنع الطيبة؟ برئ من داخله أم يحركه الشيطان؟ استقرت عيناها علي صورة في هاتفها المحمول، صورة لأحمد حليق الرأس. يبزغ الصليب من كتفه، و آية قرآنية من الجانب الآخر. ينظر حالمًاإلي سقف الغرفة التي كان يجلس فيها. التقطتها له دون علمه. وجدت الطيبة قد تخطت عينيه، و أطلت بظلالها علي كل الموجودات حوله .نظرته طفل برئ، لا يعلم شيئًا، و كأنه طفل في الخامسة منعمره، لا يعلم ماذا تخبئ له الحياة . ضحكت هند، و في عينيها دمعات من الفرح أوالحزن، لا تعلم. فقط دموع تسرب من داخل عينيها. تتذكر قطعة الورق التي تركتها له. يا تري سيقرأها أم سينساها؟ يا الله كن إلي جانبي، احفظه في طريقه، احميه، و احفظه لي يارب . قامت بالدعاءلأحمد، و أخذت عهدًا علي نفسها أنها لن تتخلي عنه بعدما تخلي عنه كل البشر بما فيهم أصدقائه . فبعد العملية نسوه،أو بالأصح أرادواألا يتذكروإنسانًا لا يتذكرهم. علمت و هي بالمستشفي اتصال أحد من أصدقائه، ربما كان اسمه نادر، طالب الممرضة أن توصله

بأحمد،إلا أنها أوصلته بالطبيب مصطفي،أخصائي العلاج النفسي. تحدث معه، طالبه بأن ينسي صديقه حتي يتسني له أن يعيش حياًةأخري بعيدًة عن كل ماكان يعيشه. طلب الطبيب مصطفي من نادر أن يقص عليه قصة أحمد. اختصرها نادرفي إيجاز. و بعد أن انتهي سأله الطبيب، هل تحب أحمد يا نادر؟

أجاب نادر في إيجاب بالطبع.

إذن اتركه إن كنت تحبه، لا تجره إلي حياة ليس لها طريق نهاية إلا الموت وحيدًا فقيرًا نادمًا علي ماضاع من العمر فيها.

تفهم نادر الموضوع و ما يطلبه الطبيب. دعا لأحمد، و أحس أنه أيضًا لابد أن يغير حياته.أن يستفيق إلي مستقبله. تلك كانت ملخص ما قالته داليا لهند عن مكالمة صديق أحمد الوحيد.أما الباقي فقد تبخر تبخر مياه المحيطات صيفًا. و لذلك وعدت هند نفسها أنها لن تتخلي عنه، و لن تتركه أبدًا ليعود إلي تلك الحياة المقيتة. وضعت رأسها علي الوسادة، و سرحت و هي تتمتم: لن أتركك أبدًا، و سأنتظرك أبدًا ما حييت، و استغرقت في نومها .

بعد مرور عدة سنوات، تخرج أحمد من كلية الصيدلة بالامارات، و تبدل حاله من أحمد سيف الدين الذي لا يفقه شيئا عن الدين أو الحياة،إلي الطبيب أحمد سيف الدين الذي يعطي دروسًا في مسجد قريب من منزله في الإمارات للشباب. كان يحكي لهم ماذا كان؟ و ماذا أصبح؟ كان والده في تلك السنوات قد حاول أن يغذي ذاكرته بالذكريات و اللحظات الجميلة فقط. ذكريات تعطي له فرصة ثانية للسعادة. و بالفعل لم يترك أحمد كل تلك الذكريات السعيدة لتهرب منه، بل تمسك بها. حكي سيف لأحمد عن الحادثة عندما كان صغيرًا في سن العاشرة. سامحه أحمد لأنه يعلم أنه ليس له دخل بها، و أنها كانت قضاء و قدر. شرح سيف سبب ابتعاده، شرح له أنه كان دائما ما يشعر بالذنب تجاه ما حدث لأحمد، و لكن أحمد تفهم موقفه، و دعاه لنسيان كل ذلك، فالحياة قد بدأت لتوها. كانت الشهور الأولي لأحمد متنقلًا بين متابعة المستشفي و الأطباء و

المنزل و الكلية و الجامع، لم يعد يريد لأي شئ بعد لأن تذوق حلاوة الإيمان. قرر أن يكون هوالحياة. قرر ألا يعيد تكرار الذي حدث له من قبل . لم تجذب انتباهه أي من بنات الكلية، و إن كانت غامرة بالفتيات التي تحرك جبل إيفرست من الموضة و الجمال و غيرها،إلا أنه كان يعلمها في قرارة نفسهأن نفسه تشتاق لأخري بعيدة، و لكن لا يعلم أسيراها مرة أخري أم لا؟ علي الجانب الآخر في مدينة المنصورة، تعالت الأصوات في منزل علي أصوات خناق و عراك دائم. لم تمر علي زيجتها سوي عامين.فقد تزوجت في السنة الثالثة من الجامعة. بدأت الحياة في بدايتها مثل أي زيجة: حب مصطنع، رغبة جنسية تسيطر علي الطرفين، كل منهما أشبع رغباته من الآخر، كل أفرغ محتويات الكبت الجنسي لسنوات ما قبل الزواج. في الشهرين الأوائل للزيجة، اندثرت الرغبة و حل محلها الفتور، رغبة ملحة من آلاء في انجاب طفل يضيف علي دنيتها شيئًا من البهجة بعدما ذهبت السعادة سريعًا بعيدًا عنها. علي كان يخرج إلي عمله لا يعود إلا مساءًا، سفرياته زادت و طالت مدتها. حتي في نهاية الأمر ذهبا إلي طبيب لايجاد حل للانجاب، حتي تتفاجئ بأنها عاقر. انهارت و دخلت مستشفي للأمراض النفسية. كانت تتذكر كل ليلة أحمد، كانت تتذكر كلماته، كانت تتذكر إلي أين سيؤل بها المطاف. كسرت قلبًاأحبها، تركته في محنته. و ها هي الآن تعاقب و تعاقب نفسها. خرجت من المستشفي لتجدأن علي قد طلقها، و أرسل لهاكل ما يخصها. لم يترك لها حتي الشقة.أخذ كل شئ. انتهي عقد حق الانتفاع الموقع بينهم بانتهاء المتعة الجنسية، و ها هي الآن تجلس في شقة أبيها، تداعب أخيها الصغير و تلعب معه. تذهب إلي العمل في فتور و روتين حياتي لا بنفصل عن الطبيعة البشرية للإنسان. حملت لقب مطلقة رغم صغر سنها،إلا أنها تعودت عليه، و تعودت علي نظرات الجميع إليها. لا تبالي، فهي تعلم أن كل هذا كان ذنبه، ذنب أحمد سيف الدين. يا تري أين هو الآن؟ و كيف حاله؟ ليرد عليها عقلها: ليس لكي الحق في أن تتذكريه، تحملي ثمن خيانتك . علمت بعدها أن والدة أحمد توفت، و أُغلقت شقته، شرفته غطي عليها التراب. كانت أيامًا تخرج إلي الشرفة، حتي يخيل لها أنه يجلس فيها، و ينظر إليها كما كان يحدث. و لكن الواقع أقسي من أي خيال،كانت الشرفة

كما هي،مغلقًة،يعتليها التراب. تدخل إلي الشقة، تغلق غرفته علي نفسها، تتناقل بين الحوائط، تنظر تارًة في السقفوتارًةأخري في هاتفها. تخرج سماعات الأذن، تضعها، تشغل الأغاني التي كانت دائمًا تحبها و هي تجلس في الشرفة عندما كان يراقبها أحمد. تسرح بها، ولا تعبئ سوي بأن الله يعاقبها لفعلتها. ترضي، و تنزل دموعها في هدوء.

في جانب آخر في كنيسة، كانت تجلس في الصفوف الأولي، شعرها متناثر في تمرد علي كتفيها، شعرها الأسود يعكس جمالها. كانت هند قد تعودت منذ لأن رحل لأحمد لأن تذهب إلي الكنيسة التي توفت بها ليلي كل شهر، لابد أن تذهب إليها داعيةًلأحمد، تصلي له، و تدعي له، و تتضرع إلي المسيح أن يردهإليها في الجامعة.أنهت كليتها بمرتبة شرفية، تفوق دراسي و علمي و أخلاقي وديني، تقدم إلي خطبتها من العرسان مايكفي بنات مصر، إلا أنها كانت ترفض في حياء و أدب. ضحكتها كانت تذيب قلوب من يتقدمون إلي خطوبتها، ضحكتها لا يقاومه إنسان.إلا أنها كانت ترفض، تنتظره، تعلم أنه سيعود يومًا ما. تعلم أنه يفكر بها،إلا أنها تلقي بهمها إلي الله، و تترك القدر ليأخذ مجراه. تركت قلبها معه، و لا تندم، فهو من اختاره قلبها قبل عقلها، عائلتها كانت متفهمة للغاية مما أسعدها هي .

فييوم من الأيام، كان أحمد يطالع بعض احتياجات العمل بعد أن عاد من شركته الخاصة التي أسسها مع والده بعد التخرج. فرح سيف جدًا عندما طلب منه أحمد أن يؤسس شركة حتي يتسني له أن يعمل بها .شركة للأدوية بدا اسمها في الارتقاء، و أخذ مكانة رفيعة بين شركات الأدوية. و بينما هو قد صب تركيزه علي استمارات التقديم، وجد شنطة صغيرة في خزانة مكتبه. استغرب أحمد، توجه إليها، لا يتذكر أنه لديه مثل تلك الشنطة،إلا أنه ذهب و هم بفتحها، حتي تسمر إلي ما في داخلها: قطعة ورق عفي عليها الزمان،إلا أن الزمان لم ينل منها شيئًا. فتح الورقة و قرأ:

إلي أحمد، بمجرد انك بتقرا الورقة دي يعني احنا مش مع بعض، و انت خرجت من المستشفي.أنا أصريت انك تقرأها بعد ما تروح من المستشفي لحد ما انت تستقر و ربنا يكمل

شفائك.أحمد أنا بحبك يا احمد، بحبك من ساعة ما شفتك في العناية المركزة. حبيت طيبتك، حبيت كل حاجة فيك، عينيك اللي مليانين حنان و براءة مش عند أي حد، روحك جمالها كان بيحميني و أنا نايمة. كنت كل يوم بستني أجي اقعد جنبك عشان أشوفك بس. بحبك ياد يا مسلم انت، و المسيح بحبك و مستعدة أعمل أي حاجة في الدنيا عشان أبقي معاك لحد آخر يوم في عمري. هستناك و عمري ماهتخلي عنك بحبك . هند يوسف ط.أغلق الورقة، و ترك الدموع تتساقط علي الورقة. تذكرها، تذكر حنانها، تذكر اعتنائها به في وقت تخلي عنه الجميع. نظر مرة أخري، وجد رقم تيليفون لها، و اسمها علي الفيس بوك، و في حركة مفاجئة، اتجه إلي اللاب توب الخاص به، و فتح الفيس، و كتب اسمها، ثواني و ظهر اسمها يتلألأ، تناديه، تدغدغ ذكرياته، تفيض عيناه بالحب. جلس، بعث لها برسالة "هند أنا أحمد،أنا كمان بحبك، و استنيني الشهر الجاي هاجي أخطبك. حبيبك اللي انتي استنتيه هيحقق ليكي حلمك، و هيعوضك اللي انتي استنتيه دا كله. حبيبك أحمد سيف الدين "و أرسلها. علي الجانب الآخر، ومض هاتف هند في إشارة منه علي وجود رسالة. تعجبت، هي لا يوجد عندها علي قائمة الأصدقاء أي شاب سوي عائلتها. تنهدت لتفتح الرسالة، حتي تسمرت. توقف العالم عنالدوران،أحست بالفراغ فقط، لا تسمع صوت دقات قلبها الذي تغلب بصوته علي ماكينة تحرث حقل في حقول أيرلاند.ا أخذت تلتهم الكلمات، لم تفهم أو تستوعب الرسالة. قرأتها أكثر من مرة، حتي دمعت عيناها فرحًا، و أطلقت صرخات حب من بين جوانب قلبها. و أرسلت إليه رسالة أخري" بحبك يا واد يا مسلم ".

ذهب أحمد لأبيه. عرض عليه الموضوع في تردد،إلا أن كلمات والدهأراحته. تنهد سيف و هو يري ابنه يعيد كرة ما قد فعله سابقًا. ابتسم له، و قال :فلتتزوج ماتحب يا بني.

تهلل وجه أحمد، و في سرعة البرق اتصل بشركة الطيران لحجز تذكرتين سفر للقاهرة، و أجل كل مشاريع العمل. اتصل بهند، مازال صوتها ينضب حبًاو حنانًاغير عادي، و هو مازال عند قوله. هي قد عينت من الجنة لحراسته، و هو أمر ليس بالخطأ هذه المرة، بل أراد الله أن يعوضه خيرًاعن كل هذا بها، بهند. لم يتحدثا منذ خمس سنوات،إلا أنهم عندما تحدثا، كأنهما يعرفان بعضهما منذ

أكثر من خمسين عامًا.أخذا يتحدثان و يتحدثان و يتحدثان. حددا ميعاد ذهاب أحمد لخطبتها. و بالفعل مرت الأيام، و ذهب أحمد إلي القاهرة مع والده.تحدثا مع عائلة هند، تفهم والدها عندما شرح له سيف أنه كان أيضًا متزوجًا من مسيحية ألا و هي والدة أحمد.أبدت عائلة هند ترحيبًا و اتفقا علي الزواج، و ذهاب هند للعيش في الإمارات مع أحمد. خرج الرجلان من منزل عائلة هند، توجهها إلي فندق. لم يريد سيف أن يعيد ذكريات شقة 47سواء كانت شقته القديمة أو شقة أخري. تركها لتحمل ذكريات لا يجب أن تفتح مرة أخري. جاء ميعاد الزواج، جلس الاثنان العريس و العروسة كنجميننزلا من السماء ليكون مكانهما هنا علي الأرض. هي الهه إغريقية جميلة جمالًا ليس ببشري. و هو فارس تركي من فرسان العثمانيين، يجلس علي عرش العالم، و بجانبه حبيبته.أخذا يتراقصان يمينًا و يسارًا علي ضفاف حمام السباحة نهارًا. الموسيقي الهادئة كلاهما أصبح من عشاقاها بعد أن كان الميتا يغطي حياة أحمد. يضع يده علي خصرها، و يهمس في أذنها. تضحك، يلفها من خصرها. تقبله قبلًةخفيفًة علي وجنتيه حتي تحمر خجلًا. يردها إليها حتي ملئت السعادة عيونهما و عيون عائلتهما. سيف يحضن أحمد، و يربت علي كتفه و هو يذكرهأن والدته الآن في راحة و سعادة، ليهز أحمد رأسه في أنه يعلم. يطبع سيف قبلًة علي جبين هند، و يوصيها علي أحمد. انتهي الزفاف الأسطوري للأمير و الأميرة، ذهبا إلي الامارات لشهر العسل. كان شهرًا للعسل بالفعل: حب يملئ جوانب كل شئ. بعدها عاد أحمد إلي العمل ليتفحص بعض استمارات التقديم للعمل في شركة وافق علي عرضها، و كان من ضمنها اسم ألاء محمود الفناجيلي، رأي أنها مناسبة للشروط، و أرسل موعد المقابلة الشخصية. مرت الأيام و أحمد و هند في أوج سعادتهما، يتبادلان الحب في كل شئ. حتي جاء يوم المقابلة الشخصية، دخلت آلاء إلي المكتب، كان يعطيها ظهره، التف إليها لتشهق شهقة مسموعة:أحمد!!

حضرتك تعرفيني ؟

تذكرت أنه لا يتذكرها. وجدت في يده اليمني خاتم و صورة له هو و هند علي المكتب. علمت

أنه تزوج .أن الله قد عوضه بأخري عنها.

لا يا فندم أنا اختلط عليا الامر بس، افتكرت حضرتك حد تاني.

تمام مافيش مشكلة. ممكن نبتدي الأسئلة اسمك و سنك و عنوانك "".....

عاد أحمد ليجد هند في استقباله بخبر لم يقوي علي الصمود أمامه، هند تجري و تحتضنه و تهمس في أذنه : هتبقي اب يا واد يا مسلم .هنا اتسعت عينا أحمد، و ظهرت الابتسامة علو وجهه. حضنها بقوة، تأرجح بها، و قال لها: دا أحلي خبر سمعته في حياتي بحبك بحبك بحبك.

فاتت الشهور، استقبلا الأمير يوسف. قرر أحمد الذهاب إلي رحلة بعدها إلي مكان بعيد به خضر في بيت ريفي في بلد أوروبي. منزل يحيطه بحيرة و خضرة. سافر ثلاثتهما إلي الريف الإنجليزي.أحمد سيف الدين، هند يوسف، و يوسف أحمد سيف الدين. جلس أحمد علي شاطئ البحيرة و العشب الأخضر يحيطه من كل جانب. رأي هند و هي تحمل يوسف، نادي عليها. اقتربت هند و همس كل منهما في أذن الآخر: بحبك لحد آخر يوم في عمري .

*** تمت بحمد الله ***